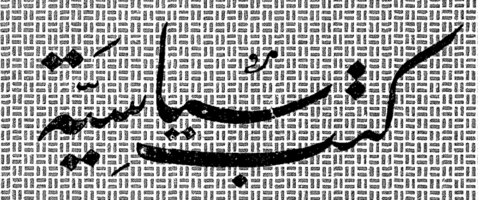




مجموعة عربية ١٠٠٪

مأساة العصر

تأليف: ل. ج. لبريه
ترجمة: الدكتور الفرد حبشي
مراجعة: الدكتور جلال صادق

L.-J. LEBRET

LE DRAME DU SIECLE

ÉCONOMIE ET HUMANISME
LES ÉDITIONS OUVRIÈRES

3

كتب سياسية

مأساة العصر

فقر - تخلف اقتصادى - عدم مبالاة - أمل

بقلم



ترجمة: الدكتور الفونس حبشي

مراجعة: الدكتور جلال صادق

مأساة العصر

بقلم

ل . ج . لبريه

تقديم

يتناول هذا الكتاب جوهر المشكلة التى يعانيها عالم اليوم والتى تباينت مظاهرها وتعددت أشكالها ، وان كانت لاتخرج فى حقيقة الأمر عن مشكلة الانسان نفسه وسعيه فى سبيل حياة أفضل . والانسان بما يعتلج فى صدره من نوازع الخير والشر قد سلك فى سعيه هذا الطريق التى يراها من وجهة نظره الخاصة ، أفضل مايمكن أن يحقق اغراضه ومصالحه الذاتية أولا ، دون أن يراعى ماقد يكون فى ذلك من افتئات على حقوق أخيه الانسان .

وهكذا يقدم المؤلف مظاهر تلك المشكلة ، ويغوص الى أعماقها ليخرج علينا بالحقائق التى تؤكدها الأرقام والوثائق ، ويلفت النظر الى خطورة تجاهلها أو غض الطرف عنها ويهيب بدول العالم الكبرى أن تعيد النظر فى سياساتها وتسعى لتدارك الموقف وانقاذ العالم من هاوية الدمار التى يوشك أن يتردى فيها .

فعدد سكان العالم يتضاعف باستمرار نتيجة انخـــفاض معدل الوفيات العام بفضل تقدم الطب ووسائل العلاج الحديثة وازدياد متوسط عمر الفـــرد ، مما يتطلب الاسراع فى التنمية لخلق التوازن بين السكان والموارد ، بما يعـود بالرفاهية على الجميع . فهناك تفاوت ضخم فى مستوى المعيشـــة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ، ولا بد من تضييق الشقة بينهما حتى يختفى شبح الجوع والفقر الذى يتهدد الدول المتخلفة ، وذلك باتباع سياسة جديدة واقعية تهدف الى تحقيق التقدم الاقتصادى المتكافىء فى أرجاء العالم أجمع ، والقضاء على العقـبات التى تعترض هذا التقدم فى المجالات المختلفة . فمن أبرز العقبـات التى تواجه التنمية الزراعية انخفاض نســبة الانتاج الزراعى بالنسبة للزيادة السكانية ، كذلك ضعف التربة وفقدان خصوبتها ومايتطلبه ذلك من اســتخدام للاســمدة التى تتكلف الكثير مما لايقوى عليه الفلاح المعدم ، كذلك قلة استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة ، ثم وجود مساحات شاسعة من الأراضى غير صالحة للزراعة أو تحتاج الى نفقات طائلة لاستصـــلاحها ، مما يخرجها عن حدود الامكانيات العملية ، هذا الى ما يلاحظ من سوء استغلال الأرض وضعف الطاقة الاستثمارية .

أما العقبات التى تقف فى سبيل التصنيع فتتلخص فى نقص الموارد والوسائل الاقتصادية الأساسية ، وعدم التـوازن بين قطاعات الاقتصاد المختلفة ، وضيق السوق المحلية ، ولا شك

أن انخفاض مستوى التعليم فى الدول المتخلفة يعد عقبة كأداء فى سبيل التقدم الصناعى بالاضافة الى ندرة رجال الأعمال والمديرين والخبراء المتخصصين مما يضعف من فاعلية التخطيط والتوجيه الاقتصادى .

ثم هناك عراقيل تتعمد الدول الصناعية المتقدمة وضعها فى طريق تصنيع الدول المتخلفة وذلك خوفا من فقدان أسواقها وخشية منافستها فى المستقبل .

وهناك عقبات اقتصادية ومالية تعترض الدول المتخلفة ، فهى مضطرة الى استيراد مجموعة كبيرة من السلع المختلفة ، تصدر فى مقابلها عددا محدودا من منتجاتها ومعظمها سلع زراعية ومواد أولية ، ولهذا فان أى تغيير فى سعر سلعة من السلع يخلف آثارا بالغة على اقتصادها كله بالاضافة الى أن الدول المتخلفة تكون غالبا تحت رحمة عميلها المتقدم الذى يبتاع منها انتاجها .

والدول المتخلفة تعوزها رءوس الأموال ، ومستوى الاستثمار الحالى فيها يعد منخفضا للغاية نتيجة عوامل عديدة منها أن الادخار لايمثل غير جزء صغير من الدخل القومى — كما أن الدخل القومى نفسه منخفض جدا بالنسبة لما هو عليه فى الدول الصناعية المتقدمة — ويتركز هذا الادخار فى الدول المتخلفة فى أيدى طائفة محدودة من الأفراد ، توجه جزءا كبيرا

منه الى الخارج أو الى أغراض غير منتجة كاستخـــدامه فى المضاربات الضارة بالاقتصاد القومى .

وأخيرا هناك عقبات اجتماعية تأخذ أشكالا مختلفة مثـل مقاومة الأوساط العائلية أو القبلية لأنماط الحياة الجديدة وتعدد البدع ذات الصـبغة الدينية وتعارضـــها فيما بينها ، وتفشى الحزازات والعصبيات الطائفية وتحكمـــها فى توجيه قطاعات كبيرة من الجماهير الشعبية فى غير الصالح العالم مما يبعـدها عن مسايرة ركب التطور ، ويفوت عليها فرص التوعية والفهم الصحيح ، ويتبلور كل ذلك فى هيكل اجتماعى غير متوازن ، أدى الى عدم تكوين الاطار الملائم للتنمية الاقتصادية .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الجزء الثانى من كتابه الذى ينتهى فيه الى ضرورة خلق مدنية جديدة . ويبدأ بالحديث عن دور الولايات المتحدة على المسرح الدولى وعن بسط سيطرتها فى ثوب اقتصادى على غالبية بلدان العالم غير الشيوعى ، وأن هذا يلقى على كاهلها مسئوليات جساما ، الأمر الذى يبدو أنها لم تدركه ادراكا تاما حتى الآن .

ان دور الرأسمالية الأساسى هو اســتغلال بعض الموارد من أجل انتاج سلع وعرضها فى السوق بما يحقق أكبر قسـط ممكن من الربح . ولذلك تهتم بالبحث عن الأسواق لتصريف منتجاتها الصـناعية ولاتستثمر فى الخـارج الا الفـائض عن احتياجاتها وتعمل بشتى الطـرق على السـيطرة على مراكز

تغذيها بالموارد الآونية ، ولهذا تتخذ الرأسمالية فى الدول المتخلفة موقفا يخالف تماما موقفها فى موطنها الأصلى . فنجدها تعرقل أى محاولة للتصنيع فى أى منطقة متخلفة حتى تظل دائما سوقا لصناعاتها وتشجع المحاصيل الصناعية على حساب المحاصيل الغذائية مما كان له آثار وبيلة على الزراعة والسكان فى الدول المتخلفة .

وتظهر مسئولية الرأسمالية مرة أخرى فى ميدان التسليح . فالرأسمالية تملك لخوض الحرب أو الاستعداد لها فائضا هائلا من الطاقة الانتاجية فلماذا لا توجه هذه الطاقة لتنمية الدول المتخلفة وتحسين مستوى الانسانية جمعاء ، والجواب على ذلك ، أن مثل هذه السياسة تعنى العطاء بدون مقابل الأمر الذى لايتفق مع دافع الرأسمالية الأول وهو الربح .

ولهذا فان مخرج الرأسمالية الوحيد هو فى قبولها مختلف أشكال التعاون ، التى لا تهدف الى الربح والتى تنظمها التشريعات الدولية . ولايمكن أن ينطبق هذا بطبيعة الحال على مايقوم الآن من مظاهر التعاون كمشروع كولومبو والنقطة الرابعة وغيرها ، وذلك أن تلك المساعدات التى تبدو اقتصادية فى ظاهرها انما تحكمها أغراض عسكرية وسياسية وتشكل عنصرا من عناصر الحرب الباردة . الأمر الذى يبعدها عن الهدف السامى للتعاون . كما أننا اذا نظرنا الى المساعدات المعروضة على

الدول المتخلفة نجدها ضئيلة جدا اذا ما قورنت باحتياجات هذه الدول . فيجب على الدول الكبرى أن تدرك طبيعة مرحلة الانتقال التي تمر بها الدول المتخلفة اليوم ، والتي تميزت بروح الثورة التي تجسدت في باندونج وفي حركات التحرر التي تجتاح الدول الخاضعة للاستعمار ، فالغرب يتمسك بكل ما أوتي من قوة بالنظام الاقتصادي الذي أوصله الى هذه الدرجة من التقدم ولكن بعد عزله تماما عن ثقة وصداقة العالم المتخلف ، وهو يدهش من عدم التجاوب وروح العداء التي يكنها له العالم المتخلف في الوقت الذي يقضي هو فيه على القيم والمفاهيم التقليدية الروحية التي هي أساس العلاقات البشرية

ويشرح المؤلف بعد ذلك طبيعة التقدم الاقتصادي الحقيقي ، فيقول ان المقصود بالتقدم هو ارتفاع مستوى المعيشة للقاعدة الشعبية ... الارتفاع بكل انسان ... وكل شيء في هذا الانسان ... وأنه عند تقدير موارد العالم ومدى كفايتها لاشباع حاجات الانسانية لا بد من النظر الى هذه الانسانية شعبا شعبا وبقعة بقعة ، فلكل بلد ظروفه الخاصة وعلى كل شعب أن يجد الطريقة التي تلائمه للتقدم الاقتصادي على ضوء ظروفه وامكانياته ، ولكن هناك حقيقة اساسية هي أن التنمية لازمة في كل مكان وممكنة ، ولكنها تتطلب تعاونا وثيقا بين الشعوب الغنية والفقيرة ، على أسس جديدة ومفاهيم جديدة .

فأمريكا وروسيا بتجاهلهما « الانسان » قضيا سويا على أسس نجاحهما فى المستقبل ، لأن أنماط المدنية التى يقـدمانها للعالم قاصرة و لاتصلح للتصدير وعلى الغـرب والشرق اذن أن يقيما دعائم اقتصاد يخدم الانسان ـ فالمدنية الجديدة لا يمكن أن تكون مدنية الثروة أو العنف أو الخوف من الموت . ولا بد من وضع دستور جديد لغرس ثمرة التنمية الصحيحة على مستوى عالمى وخلق نو ع جديد من العلاقات بين الشعوب

مقدمة المؤلف

نريد فى هذا الكتاب أن نلفت نظر القـــراء الى بعض المشكلات الجوهرية من بين تلك التى تتوالى بسرعة عجيبة فى عصرنا هذا ــ والتى يجب أن تضعها الانسانية فى المرتبة الأولى لتجد لها الحلول المناسبة .

ونحن لم نكن لنجرؤ على اخراج هذا الكتاب ان لم يكن نتيجة لملاحظات عدة هى وليدة تحليل دقيق قمنـا به فى بعض البلدان مثل البرازيل وكولومبيا وفيتنام والسنغال ، كما يتضمن تحليلا سريعا يصلح لكى يكون أساسا لعقد المقارنات الدولية فى بلدان أخرى بأمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا .

وقد بدت لنا الانسانية خلال هذه الدراســة مترنحة فى سيرها متردية من هوة الى هوة ، عاجزة فى جميع الأحوال عن حل المشكلات التى تواجهها ــ وليس هذا عن ضـــعف فى مقدرتها الفكرية ، ولكن لحاجتـــها الى الارادة لاعادة بحث القيم السرابية البالية .

فأمريكا لا تكف عن المناداة بالحـرية . واتهام الآخرين بالنزعة الاستعمارية ... فى نفس الوقت الذى تسلب فيه ــ بحكم اقتصادها « المتغلب » ــ السيادة الحقيقية من جميع

الدول الحرة ، وتربط جميع البلدان غير الشيوعية الى ارادتها ورغباتها .

ومن ناحية أخرى نجد هناك روسيا السوفيتية التى لا تزال تنادى بالماركسية رغم أنها أثبتت للجميع انها حملت هذا المذهب مالايحتمل ... بل انها ابتعدت عنه كثيرا فى ميادين التطبيق العملية .

ومع ذلك ، فان المنهج الذى سنسير عليه فى هذا الكتاب لا ينبع من تعارض الكتلتين الشرقية والغربية ... أو ضرورة الاختيار بين نظامين من أنظمة التفكير أو غاطين فنيين من أغلاط استغلال الثروات المادية فى هذا العالم .

ان كل ماتبغيه هو ارغام الدول الكبرى ـ سواء فى المعسكر الغربى أو المعسكر الشرقى على التفكير الصحيح ، بمساعدتهم على ادراك الحقيقة التالية : ان استمرار تمسكهم بموقفهم الحالى الذى لايتلاءم مع الحقيقة التاريخية ولا مع روح الوئام العالمى ليعد ضربا من ضروب الجنون ، وجريمة لا تغتفر فى حق الانسانية .

ان المشكلة التى تواجه العالم اليوم هى ـ فى واقع الأمر ـ مشكلة مدنية جديدة ... فالبلاد الغنية نجدها فى نفس الوقت بلادا بخيلة .. والبخل هنا يعنى رغبة الحصول على أكثر مما هو ضرورى ... ونرى الآن أن عدوى هذا

البخل بدأت تجتاح بسرعة الشعوب الفقيرة ، وواضح أن عالما بخيلا لا يمكن الا أن يكون عالما منقسما على نفسه يخطـــو حثيثا نحو البربرية والهمجية ... ولهذا فان الغرب ــ الذى لايشغله الآن الا نفسه ــ بدأ يتحول الى عالم بربرى .

ولقد لجأنا ــ كى لا نتهم بعرض آراء ومشاعر ذاتية ــ الى تحليل مشاهدات ودراسات غيرنا فالدارس الواحد ــ مهما كان أمينا فى عمـــله ــ يكون عرضـــة للنقـــد ولرفض آرائه ومشاهداته .

لهذا ، لجأنا فى كثير من الأحيـــان الى وثائق هيئة الأمم المتحدة وفروعها المتخصصة ، كما أننا استعنا ببعض الكـــتاب الذين نالوا شهرة عالمية فى الميادين التى قمنا بدراستها .

وقد أبرزت لنا دراستنا الطويلة أن الانسانية ــ بالرغم مما تحمله من أعباء « الروتين » وأثقال الأفكار والتقاليد البالية ــ تبحث عن حل لمشكلاتها على مســـــتوى عالمى أقوى . وفى اعتقادنا أنه يكفى أن يخطو البعض هنا وهناك خطوات معدودة الى الأمام حتى يبدو هذا الحل واضحا أمام العيان .

وكان واجبنا هنا هو المساهمة فى تحقيق هذا الهدف .

الجـــزء الاول

موقف العالم

الفصل الأول

الحقائق الأساسية

— ١ —

تزايد غير متوقع فى عدد السكان

أهمية هذه الزيادة السكانية : —

كانت زيادة السكان ، قبل العصور الحديثة ، بطيئة فى تكاثرها كما كان يشوبها أحيانا فترات توقف طويلة . وقد بدأ معدل الزيادة السكانية يرتفع ارتفاعا ملحوظا خلال القرون الثلاثة المنصرمة حيث قفز عدد سكان العالم من أقل من ٦٠٠ مليون نسمة عام ١٦٥٠ الى أكثر من ١٤٠٠ مليون نسمة عام ١٩٥٠ .

والأرقام التى يتفق عليها جميع الاخصائيين هى :

٩٠٠	مليون نسمة عام	١٨٠٠
١١٥٠	مليون نسمة عام	١٨٥٠
١٦٠٠	مليون نسمة عام	١٩٠٠

وهذا يعنى أن عدد سكان العالم قد تضاعف فيما بين عام ١١٥٠ وعام ١٨٥٠ كما تضاعف مرة أخرى فيما بين عام ١٨٥٠ ، ١٩٥٠ .

ويعتقد الاخصائيون أن عدد سكان أوروبا ــ بالاضافة الى الأراضى الروسية الواقعة فى آسيا ــ قد تضاعف خمس مرات فى الفترة مابين ١٦٥٠ و ١٩٥٠ ــ وقد تزايد عدد السكان بسرعة فى أوروبا فيما بين عامى ١٨٥٠ ، ١٨٨٠ ثم انخفض معدل الزيادة انخفاضا ملحوظا بعد ذلك .

فقد بلغ عدد سكان هذه القارة ٤٠٠ مليون نسمة عام ١٦٥٠ ، ثم قفز الى ١٣٠٠ مليون نسمة عام ١٩٥٠ .

أما معدل الزيادة السكانية فى القارة الافريقية فكان بطيئا للغاية خلال عدة قرون ولكنه بدأ يرتفع بسرعة منذ منتصف القرن التاسع عشر .

أما فى الأمريكتين ، فقد ازداد عدد السكان زيادة كبيرة ومع أنه من الصعب تقدير عدد سكان هذه البقعة منذ قرنين ، الا أنه من المؤكد أن عدد السكان قد ارتفع من بضعة ملايين الى أكثر من ٣٥٠ مليون نسمة عام ١٩٥٠ .

وقدر عدد السكان فى العالم فى عام ١٩٥٧ بحوالى ٢٧٩٥ مليون نسمة موزعين كالآتى :

١٥٥٦ مليون نسمة فى آسيا
٤١٤ مليون نسمة فى أوروبا
٣٨١ مليون نسمة فى القارة الأمريكيه
٢٢٥ مليون نسمة فى افريقيا
٢٠٣ر٦ مليون نسمة فى الاتحاد السوفييتى
١٥ر٤ مليون نسمة فى الاقيانوس

وقد بلغ معدل زيادة السكان السنوية فى العالم ١ر٦ فى الفترة مابين ١٩٥٠ ، ١٩٥٧ وهذا يعنى أن سكان العالم قد تزايدوا خلال هذه الفترة بما يقرب من ٣٠٢ مليون نسمة . وتشير وثائق الأمم المتحدة الى أن الزيادة الكلية فى عدد السكان بمختلف بقاع العالم فى الفترة نفسها كانت كالآتى :

١٨٠ مليون نسمة فى آسيا
٢١ مليون نسمة فى أوروبا
٥١ مليون نسمة فى القارة الأمريكية
٣٦ مليون نسمة فى أفريقيا
١١ر٦ مليون نسمة فى الاتحاد السوفيتى
٢ر٢ مليون نسمة فى الاقيانوس والدول الأخرى

وقد قدر بعض الاخصائيين عدد السكان فى الدول المتخلفة فى الفترة مابين ١٩٥٥ و ٢٠٠٥ على الوجه التالى :

بالمليون نسمة

السنة	الدولة المتخلفة	الدول الأخرى	المجموع
١٩٥٥	١٨٠٠	٩٠٠	٢٧٠٠
١٩٨٠	٢٩٠٠	٠٢٠١	٣٩٢٠
٢٠٠٥	٤٠٠٠	٠٥١١	٥١٥٠
٢٠٥٥	٥٤٠٠	١٤٩٠	٦٨٩٠

وقد بنيت هذه التقديرات على أساس اتباع سياسة « مالتسميه » متطرفة (أى سياسة تحديد النسل) فى هاتين المجموعتين من الدول . وهكذا ، فحتى اذا افترضنا ــ الأمر الذى لم تثبته التجارب بعد ــ أن معدلات الاخصاب ستنخفض بسرعة فى السنوات المقبلة ، فان الزيادة السكانية ستبقى فى مستوى مرتفع .

ويبرز الخبراء ثلاث مراحل متتالية فى تطور عدد السكان حينما ترتفع مستوياتهم المعيشية :

ثبات ــ ارتفاع سريع ــ عودة الى الثبات

ففى خلال المرحلة الأولى ، حيث المستويات الغذائية منخفضة للغاية ، سواء أكان ذلك كميا (مقدرة بالسعر الحرارى) أم نوعيا (ضعف نسبة الوحدات الغذائية ذات الأصل الحيوانى) ستكون معدلات الوفيات والمواليد مرتفعة ومتساوية تقريبا ، ويبقى عدد السكان ثابتا على حاله ، وفى خلال الفترة الثانية يتمتع السكان بمستويات غذائية أفضل ،

فتبدأ معدلات الوفيات فى الانخفاض ، على حين تبقى معدلات المواليد مرتفعة فيزداد عدد السكان زيادة سريعة . وأخيرا ، نصل الى المرحلة الثالثة ، حيث تبلغ مستويات الاستهلاك ذروتها ، وخاصة من الناحية النوعية ، فتنخفض معدلات المواليد بسرعة حتى تصل الى مستوى معدلات الوفيات ، وهنا تبدأ حقبة جديدة من الثبات النسبى .

وهكذا يتضح لنا أنه لكى نعيد ايجاد توازن بين السكان من ناحية وبين المواليد من ناحية أخرى ، يجب علينا أن نعيد بسرعة المرحلة الثانية ، وهى المرحلة الخطرة التى تبلغ فيها الزيادة السكانية أشدها .

وبمعنى آخر ، فان التقدم الاقتصادى يجب ألا يكون بطيئا حتى لاتنعكس آثاره على معدلات الوفيات وحدها فيحدث الانفجار السكانى .

ان التنمية السريعة وحدها هى التى يمكن أن تخلق توازنا جديدا بين السكان والموارد ، توازنا يعود بالرفاهية على الجميع .

ليس هناك من شك فى أن تحسن مستويات التغذية يلعب دورا هاما فى خفض معدل الوفيات ، وأن تراجع هذا المعدل فى الدول غير النامية يرجع ــ قبل أى شىء آخر ــ الى استخدام الوسائل الصحية الحديثة ... وكثير من التجارب تشير الى

أن بعض الدول قد انخفضت فيها معدلات الوفيات بالرغم من تفاقم أحوالها الاقتصادية .

لقد كان الطب فى الأحقاب الماضية يتبع التقدم الاقتصادى ولايقوى على سبقه ... أما اليوم ، فان الأمر يختلف تماما ، فالفنون الطبية الحديثة تغزو فجأة المجتمعات المتخلفة التى تكاد تعيش فى ظروف القرون الوسطى فتقضى على مختلف الأمراض والأوبئة بتكاليف زهيدة للغاية .

كل ذلك يشير الى أنه سيكون هناك انخفاض فى معدل الوفيات فى الدول المتخلفة خلال السنوات المقبلة ... هذا كما أن معدلات الزيادة فى الدول المتقدمة مازالت مرتفعة ، فسكان الولايات المتحدة مثلا يتزايدون بمعدل ثلاثة ملايين نسمة سنويا ؛ وليس هناك مايدعو الى التنبؤ بتغيير مثل هذه الأحوال فى المستقبل القريب .

لهذا ، تواجه الانسانية اليوم مشكلة اقتصادية معقدة للغاية ... وبالتالى مشكلة اجتماعية وسياسية ... وليس فى وجود هذه المشكلة مايدعو الى الاستغراب ، ولكن الغريب هو فى عدم المبالاة بها سواء أكان هذا لدى المسئولين عن السياسة العالمية أم السياسة الوطنية .

أكثر من نصف سكان العالم يعيش فى آسيا

هناك خمس دول فى آسيا تتقاسم فيما بينها نصف سكان

العالم ، وهـذه الدول هى الصين والهند واليابان وباكستان وأندونيسيا .

وينتمى سكان هـذه الدول الى حضارات قديمة ، وهم قادرون ـ كما أثبتت اليابان ـ على استخدام العلوم الحديثة لدفع عجلة التصنيع والتقدم الاقتصادى ، مع قبول مستويات معيشية أقل من السائدة فى بلدان العالم الغربى .

لقد أخذ عدد السكان فى الصين يتزايد منذ قيام الثورة الشيوعية بمعدلات قياسية حتى بلغ ٦٢١ مليون نسمة فى عام ١٩٥٦ ـ ويصل المعدل السنوى للمواليد الى ٤٠ فى الألف . أما اليابان ، فقد زاد عدد السكان فيها الى ثلاثة أضعاف وذلك خلال القرن الماضى .

أما فى الهند ، فقد انخفض معدل المواليد من ٣٣ر٣ لكل ألف نسمة فى عام ١٩٣٨ الى حوالى ٢٥ لكل ألف نسمة خلال الفتـرة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ وفى نفس الوقت ، انخفض معـدل الوفيات من ١٤ر٧ (عام ١٩٥١) ، وهـكذا نرى أن الزيادة السنوية تربو على أربعة ملايين نسمة .

واذا اعتبرنا الهند والصين معا (بمعدلات الزيادة الحالية) ، فانهما سيكونان ـ كما هو الحال الآن ـ ٤٠٪ من سـكان

العالم ، الأمر الذى يعطى لهذين البلدين موقفا سياسيا حاسما على المسرح الدولى ، فمع فقرهما الحالى ، ســوف يسيطران على « كبار » الدول التى تدعى تزعمها للعالم .

ان تطور الســكان فى هــذه البلدان من شأنه أن يغير موازين القوى الاقتصادية والعسكرية فى العالم .

الفصل الثانى

تفاوت استغلال الأرض من بقعة لأخرى فى العالم

يبين لنا الجــدول التالى كثافة السكان العاملين بالزراعة لكل كيلومتر مربع فى بقع مختلفة من العالم .

	لكل كيلو متر مربع من الأراضى المزرعة	لكل كيلو متر من الأراضى السابقة بالإضافة إلى المراعى
آسيا (فيما عدا الاتحاد السوفيتى	٢٦٦	١٤٧
اميركا الوسطى	١١٣	٢٥
اوروبا (فيما عدا الاتحاد السوفيتى	٨٦	٥٢
افريقيا	٨٣	٢١
أميركا الجنوبية	٧٦	١٤
دول الأقيانوس	٢٢	١
الولايات المتحدة وكندا	١٥	٦

غير أن هذه المتوسطات تنطوى على فوارق كبيرة ، فاذا أخذنا فى الحســبان الأراضى الواردة فى العمود « أ » فاننا نجد أن كثافة السكان فى بعض مقاطعات تنجانيقا مثلا تتراوح بين ٤٦٣ ، ٦٩٥ لكل كيلومتر مربع .

وتبدو الفروق الخاصة بمساحة الأراضى المنزرعة وكثافة العاملين فيها بالزراعة أكثر وضوحا عند المقارنة على مستوى البلد ، ونجدها تتضخم كثيرا بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة ، ومما لاشك فيه أن حالة مصر تعتبر فريدة فى هذا الميدان .

البلد	نسبة الأراضى المزروعة إلى إجمالى مساحة البلد	عدد السكان الزراعيين لكل كيلو متر مربع
هولندا	٦٨	١٨[٢]
المملكة المتحدة	٦٥	٨٥
الولايات المتحدة	٣٩	١٨
كندا	٧	١٦
استراليا	٢,٤	١٣
الهند	٤٦	٢٣٨
سيلان	٤٢	٤٥١
المكسيك	٥	١٦٤
البرازيل	٢,٨	١٤٠
مصر	٢,٥	٥٤٢

وتبلغ الكثافة ذروتها فى دلتا الأنهار المنزرعة بالأرز فى منطقة الشرق الأقصى . (١٥٠٠ نسمة فى الكيلومتر المربع بدلتا نهر يانج ــ تسى ــ كيانج مثلا) .

وتملك الصين مايقــرب من ٨٧٫٨١٩٫٩٠٠ هــكتار من الأراضى المنزرعة يعيش عليها أكثر من٦٠٠ مليون نسمة ، بينما تملك الولايات المتحدة الاميركية ١٤٧٫٧١٥٫٥٠٠ هكتارا لعدد من البشر لايبلغ ثلث سكان الصين .

ويبلغ متوسط مايخص الفــرد من الأراضى المنزرعة ١٫٦ هكتار فى كل من كندا والولايات المتحدة ــ ٠٫٨ فى الاتحــاد السوفيتى ، ٠٫٦ فى أميركا اللاتينية ، ٠٫٢ الى ٠٫٣ فى جنــوب شرق آسيا والشرق الأوسط ، ٠٫٤ هكتار فى بقية أنحاء العالم .

ويقدر متوسط مساحة المزرعة الفردية بـ ١٫٦ هكتار فى الصين (قبل تطبيق نظام المزارع الجماعية أو « الكولخوز ») ٥٫٦ هكتار فى هولندا ، ١٥٫٧ فى الدانيمرك ، ٢٥٫٥ فى انجلترا ٦٣٫٥ هكتار فى الولايات المتحدة الاميركية .

وتتمتع الجاليات البيضاء فى أفريقيا بمراكز الصدارة من حيث حيازتها للأراضى الزراعية .. ففى كينيا مثلا يملك ثلاثة ملايين من السكان مايقرب من ١٠٠٫٠٠٠ ك م ، فى حين يملك ٢١٫٠٠٠ من البيض مايزيد على ٤٠٫٠٠٠ ك م ٢ .

وفى روديســيا الجنوبيــــة يملك ١٫٥٠٠٫٠٠٠ مواطن ١١٥٫٠٠٠ كم٢ ، ٦٠٫٠٠٠ من البيض يملــــكون أكثر من ١٨٥٫٠٠٠ كم٢ .

ومما هو جدير بالذكر ، أنه يوجد فى العـالم مساحات شاسعة من الأراضى يمكن اصلاحها وزراعتها ، وهناك صعوبة تعترض الخبراء حينما يحاولون تحديد مقدرة الأرض المنزرعة فى العالم على اطعام مجموع السكان ، فان مثل هذا التقدير يتوقف على مقدار الوجبة الغذائيـة التى يمكن اعتبارها حـدا أدنى معقولا . فمثـلا اذا أخـذنا فى الحسبان المسـتوى الغذائى الآسيوى ، لوجدنا أن الموارد الزراعية فى العالم تكفى مايقرب من ٢٨٠٠ مليون نسمة ... »

فاذا انتقلنا الى المستوى الغذائى الأوربى نجد أن هـذا الرقم ينخفض الى ١٢٠٠ مليون ، أما اذا طبقنا المستوى الغذائى السائد فى الولايات المتحدة الامريكية فاننا نجد هـذا الرقم لايتعدى ٩٠٠ مليون نسمة .

ولكى يدرك الباحث موقف الدول غير المتجانس بالنسبة لمشكلة الأرض التى نحن بصددها ، فان من المفيد أن يقارن بين مناطق تختلف بعضها عن بعض اختـلافا بينا كمصر والولايات المتحدة مثلا ، وهما من منتجى القمح والقطن .

تشير احصائيات الأمم المتحدة الى أن مساحة الأراضى الزراعية فى أميركا تبلغ عشرة أضعاف مساحتها فى مصر وذلك بالنسـبة لعدد السكان الاجمالى ... كما تبلغ أربعين ضعفا بالنسبة العدد العاملين فى قطاع الزراعة ... ويلاحظ أن هذه التقديرات لاتأخذ

فى الحسبان المراعى وغيرها من الأراضى المستغلة التى توجد بكثرة فى الولايات المتحدة وتكاد تخلو مصر منها .

وتشير نفس الاحصائيات ، الى أنه لكى يحصل المزارع فى مصر على نفس مستوى الدخل الذى يحصل عليه المزارع الأميركى فانه يجب مضاعفة الانتاج أربعين مرة على الأقل لكل وحدة زراعية فى مصر .

وبينما يخص الفرد من السكان ١٢ر٠ من الهكتار فى مصر يحصل المواطن الأميركى على ٢ر١ هكتار .

أما بالنسبة للعاملين بالزراعة ، فتبلغ هذه المساحة على التوالى ١٧ر٠ ، ٧ر٦ هكتار .

الفصل الثالث

ـ عدم المساواة أمام الحياة ـ

يلجأ الباحث لمقارنة « حظ » كل مجتمع سكانى من الحياة الى دراسة الظواهر التالية :

ـ معدل وفيات الأطفال .

ـ معدل الوفيات العام .

ـ الأمل فى الحياة عند الولادة .

نقص معدل وفيات الأطفال :

كان معدل وفيات الأطفال فى العصور القديمة مرتفعا جدا فى جميع بلدان العالم ، وكان هذا هو السبب الرئيسى لبطء زيادة السكان .

ويبين لنا الجدول الآتى مقدار ماأحرزته الدول القديمة من نصر فى نضالها ضد الموت الذى يصيب الأطفال فى السنة الأولى من عمرهم .

« معدل الوفيات لكل ألف طفل يولدون أحياء »

	١٩٣٦	١٩٤٨	١٩٥٧
السويد	٤٣	٢٣	١٧
المملكة المتحدة	٦٢	٣٦	٢٤
الولايات المتحد الأميركية	٥٧	٣٢	٢٦
بلجيكا	٨٦	٥٩	٣٥
ألمانيا الغربية	—	٥٨	٣٦
فرنسا	٦٧	٥٦	٣٤

وترتفع هذه المعدلات فى الدول المتخلفة ، فتبلغ :

١٢٥ لكل من كوبا والمكسيك وباراجواى وبوليفيا والبرازيل وكولومبيا وهندوراس ونيكارجوا وبناما وبيرو وجمهورية الدومينكان وفنزويلا .

١٥٠ لكل من جواتيمالا وسلفادور وتايلاند .

٢٠٠ لكل من الهند وباكستان والفيلبين .

٢٢٥ لبورما .

نقص معدل الوفيات العام : —

انخفض هذا المعدل انخفاضا كبيرا فى الدول الصناعية المتقدمة وهو فى سبيله الى الانخفاض فى الدول المتخلفة ، فمثلا بالنسبة للهندلم تظهر فيها مجاعات فىالفترة مابين ١٩٢٠ ، ١٩٤٥ اذا استثنينا مجاعة بومباى التى وقعت فى عام ١٩٤٣ — كما اختفت كذلك منهذا البلد الأمراض القاتلة كالطاعون ، غير أن

الكوليرا لم تختف تماما بسبب ضعف الوسائل الوقائية المستخدمة وعــدم عزل المرضى عزلا فعــالا ، كما أن الجدرى مازال من الأمراض الشائعة هناك .

أما سيلان ، فقد استطاعت أن تقى نفسها تماما منــذ عام ١٩٢٥ من هذه الأوبئة الثلاثة ، غير أن الملاريا مازالت متفشية فى هذين البلدين ، وفى سيلان لاتقل نسبة عدد السكان المصابين بهذا المرض عن ٢٠٪ ، وترتفع فى كثير من الأحيان الى ٥٠ ـ ٦٠٪ ـ وقد بدأت الحملة ضد الملاريا فى سيلان عام ١٩٤٧ ، وقــد ارتفع متوسط عمر الفرد هناك نتيجة لذلك من ٨ر٤٢ سنة عام ١٩٤٦ الى ٦ر٥٦ سنة ١٩٥٢ .

وباختصار ، فان الوسائل الطبية الحــديثة قد نجحت فى الدول المتخلفة فى اطالة عمر الانسان مع احتفاظه بمستوى معيشى ثابت .

الأمل فى الحياة عند الولادة :

وهو مايعبر عنه احصائيا « بمتوسط عمر الفرد » وقد بلغ هذا المتوسط ٦٥ سنة فى الدول المتقــدمة (ألمانيا ـ النمسا ـ بلجيكا ـ فرنسا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ كندا) .

وتجاوز السبعين فى أكثر الدول تقدما (النرويج ـ المملكة المتحدة ـ الســويد ـ سويسرا ـ الدانيمرك ـ فلنــدا ـ الولايات المتحدة ـ استراليا ـ نيوزيلندا) .

وينخفض هذا المتوسط انخفاضا كبيرا فى الدول المتخلفة ، فنجد أنه لايتعدى أربعين سنة بالنسبة للمصريين والبرازيليين وأهل المكسيك .

أما فى الهند ، فنجد أن متوســط عمر الفرد لايزيد على اثنين وثلاثين عاما .

بماذا توحى هذه الأرقام ؟

يزداد تفوق الدول المتخلفة من وجهة نظر عدد السكان مع انتشار واستعمال وسائل الطب الحديث ، كما تزداد الأعبـاء الملقاة على عاتق الأفراد العاملين مع انخفاض معـدل الوفيات وازدياد متوسط عمر الفرد .

(يعول كل ٥٥ عاملا فى الدولة ٤٠ شابا وخمسة كهول أما فى الدول المتقدمة ، فيعول كل ٦٤ عاملا ٣٦ شخصا لايعملون) .

الفصل الرابع

عدم المساواة أمام المرض

يصاب سكان المناطق الاستوائية بأمراض يجهل الأوربى حتى أسماءها ويمكن تسمية هذه الأمراض «بالأمراض الجماعية» حيث انها تصيب نسبة عالية من السكان ، وتكون سببا فى عرقلة كل تقدم اقتصادى واجتماعى فى البيئة التى تنشى فيها .

أمراض الدول المتخلفة :

أمراض سوء التغذية :

تصاحب هذه الأمراض حالات الفقر والجهل ، وهى تقسم من وجهة النظر « الاكلينيكية » الى : البربرى — والبلاجرا — والاسقربوط — لين العظام — الانيميا ، ومرض الكاوشيوركور وهذا الأخير يصيب الاطفال حتى سن السادسة وذلك بسبب نقص بروتين الحيوان فى أغذيتهم فيتعرضون للاصابة بسرطان الكبد وبحالة ضعف وانيميا مزمنة .

الأوبئة ، أو أمراض الحجر الصحى :

هذه الأمراض سريعة العدوى ولهذا فكثيرا ما تنشأ عنها

الأوبئة وأول هذه الأمراض هو الطاعون الذى اجتاح منشوريا وجنوب الصين عام ١٩١٠ وأهلك ٦٠٫٠٠٠ من أهلها .

وقد بلغ عدد ضحايا هذا الوباء فى الهند فى بعض السنين أكثر من مليون نسمة .

ويظهر هذا المرض فى افريقيا وامريكا اللاتينية ومدغشقر .

أما الكوليرا ، فمازالت تجتاح بعض المناطق الشاسعة بأميركا الجنوبية وافريقيا .

كما ينتشر الجدرى فى افريقيا وأميركا الجنوبية وآسيا ، وتعتبر الهند من أهم مراكز هذا المرض . وتعتبر مصر وأرتريا والحبشة من مواطن التيفوس وتتفشى أوبئة محدودة لهذاالمرض على طول المنطقة الممتدة من السودان الى باسوتولاند ، مارة بأوغندة وتنجانيقا ونياسالاند .

الأمراض الهدامة :

ونعنى بها تلك التى تضعف الجسم الى درجة تتلاشى معها القدرة على العمل . وأهم هذه الأمراض هى الملاريا التى تتوطن المناطق الرطبة الاستوائية ، وتتفشى بوجه خاص فى الدول المتخلفة المكتظة بالسكان .. ففى البنغال مثلا يصاب أكثر من نصف السكان دوريا بهذا المرض .. وتعتبر الملاريا من أهم

أسباب الوفاة فى الدول المتخلفة (يؤكد الخبراء أن ثلاثة ملايين نسمة يموتون سنويا نتيجة لهذا المرض) .

أما معدل الوفيات النـاتج عن مرض « السل » فأكثر ارتفاعا من معدل الوفيات الناتج عن مرض الملاريا . ولايتوطن هذا المرض فى الدول المتخلفة فقط ، بل هو يصاحب حـركات التصـنيع وظهور المدن الكبرى . ومرض « الزهرى » يعتبر بدوره من الامراض العالمية وهو لا يـكاد يظهر فى مجتمع بدائى أو متخلف نسبيا ، حتى ينتشر بين أفراده انتشارا سريعا .

وقد أظهرت التجارب أن ٦٥٪ من سكان وادى «جوند» فى الهند مصابون بهذا المرض .

ويمـكننا أن نضـيف الى هـذه القائمة الطويلة أمراض الانكلستوما والبلهارسيا ومرض النوم والترافوما والدوسنطاريا والتيفود ... الخ

هذا بالاضافة الى بعض العوامل الخاجية الهدامة للصحة كتعاطى الخمور والكوكا وخاصة بين سـكان أميركا اللاتينية حتى أن بعض الخبراء قالوا ان السـكان فى هـذه المنـاطق لايجدون أمامهم غير ثلاث وسائل للهروب :

الهجرة : لأنهم لايجدون أرضا لزراعتها فى قراهم .
والكوكا : التى توهمهم بعدم الشعور بالجوع .
والخمر : التى تنسيهم أعباء الفقر .

ويقدر الخبراء نسبة من يتعاطون الكوكا فى مناطق نموها بـ ٣٠ الى ٥٠٪ من البالغين ، وتبلغ هذه النسبة ٩٠٪ فى طائفة عمال المناجم .

والكوكا تضعف الاحساس بالجوع والشعور بالتعب ولكن لفترة مؤقتة تعقبها حالة من الخمول التام ومن الأمور المؤسفة حقا أن بعض رجال الاعمال يدفعون لعمالهم جزءا من الاجر فى شكل هذه السموم الهدامة للصحة .

الجهود العالمية لتحسين الصحة وعدم كفايتها

هناك عدة برامج عالمية لمقاومة الامراض والاوبئة ــ ففى سيلان بدأت مقاومة الملاريا عام ١٩٤٦ وانخفض عدد الاصابات من ٤١٣ لكل ألف مواطن الى ١٣ فقط .

وفى فنزويلا انخفض عدد الوفيات بسبب الملاريا من ١٧٣ لكل ١٠٠٫٠٠٠ مواطن فى عام ١٩٤٥/٤١ الى ٢ لكل ١٠٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٢ .

كما انخفضت الحمى الصفراء تماما من البرازيل بعد استخدام مسحوق الد . د . ت . وعلى الرغم من هذه النتائج المشجعة فمازال هناك الكثير الذى يجب عمله فى البلدان المتخلفة ، « أرض الجوع والمرض » وهو ماتوضحه الارقام التالية .

البلد	عدد من يخدمهم الطبيب الواحد	عدد السكان لكل سرير واحد فى المستشفيات
الشرق الاقصى		
أندونيسيا	٧١٠٠٠	١٣٠٠
فيتنام	٦١٠٠٠	٢٥٠٠
باكستان	١٣٠٠٠	—
الملايو	٨٠٠٠	٢٠٥
اليابان	١٠٠٠	١٩٦
افريقيا :		
نيجيريا	٥٧٠٠٠	٢٢٠٠
افريقيا الاستوائية الفرنسية	٢٣٠٠٠	٣٤٠
مصر	٣٥٠٠	٦٠٠
أميركا اللاتينية		
هوندوراس	٦٥٠٠	٧٥٠
البرازيل	٣٣٠٠	٣١٠
الأرجنتين	٧٨٠	١٦٠
الدول المتقدمة		
المملكة المتحدة	١٣٠٠	٨٥
فرنسا	١١٠٠	٦٥
كندا	٩٥٠	٧٧
الولايات المتحدة	٧٦٠	١٠١
الاتحاد السوفيتى	٦٠٠	١٥٥

نتائج هذه الاوضاع :

تشير وثائق الأمم المتحدة الى النتائج السيئة التى تترتب على الاصابة الجماعية ببعض الأمراض (كالملاريا) ، أو عن سوء التغذية بوجه عام . ويقول الخبراء ان الملاريا تصيب سنويا ٣٠٠ مليون شخص ، وتعطل كل مصاب عن العمل لمدة تتراوح ما بين ٢٠ ، ٤٠ يوما .

كما تدل احدى التجارب فى الفيلبين على أن الملاريا تتسبب فى عدم انتظام الدراسة لأكثر من نصف عدد التلاميذ فى المرحلتين الابتدائية والثانوية .

مثل هذه الحالات لا حصر لها فى الدول المتخلفة وتشل الكثير من الطاقات التى يعجزها المرض عن القيام بأى عمل فى أى ميدان .

ولهذا فيمكن أن يقال ان القضاء على مرض من هذه الأمراض لايقل أهمية عن اكتشاف ارض جديدة أو مصدر اضافى من مصادر الثروة .

الفصل الخامس

عدم المساواة أمام الجوع

المستوى الغذائى غير كاف بالنسبة لنصف سكان العالم :

جوع « الكالورى » أو السعر الحرارى :

يعتبر الخبراء أن الرجل فى المناطق المعتدلة المناخ يحتاج الى ٢٧٠٠ سعر حرارى كحد أدنى . أما العامل الذى يبــذل مجهودا عضليا فيحتاج الى ٤٥٠٠ سعر حرارى يوميا . ويمكن أن ينخفض هذا الرقم بعض الشىء فى الدول الاستوائية على شرط أن يصحب ذلك انخفاض فى مســتوى الانتاج ويمكن القول بوجه عام أن نصيب الفرد فى الدول المتقدمة يتراوح ما بين ٢٧٥٠ ، ٣٢٥٠ « كالورى » ويعتقد الخبراء أن ٣٨ر٦٪ من سكان العالم فى عام ١٩٣٨ كانوا لا يحصلون على ٢٢٠٠ « كالورى » ـ وارتفعت هذه النسبة الى ٥٩ر٥٪ عام ١٩٤٨ ، ويبدو أنها ظلت ثابتة أو لعلها لم تنخفض الا قليلا منذ ذلك التاريخ .

ويوضح الجدول التالى موقف مختلف الدول فى هــذا الميدان :

البلد	متوسط الإستهلاك بالسعر الحرارى	متوسط الاستهلاك بالبروتين الكلى	متوسط الاستهلاك مقدرا بالبروتين الحيوانى
الشرق الأقصى			
الهند	١٧٠٠	٤٤	٦
الباكستان	٢٠٢٠	٥٢	١١
الصين	٢٠٣٠	٦٣	٦
اليابان	٢١٠٠	٥٣	٨
الشرق الأوسط			
ايران	١٨٢٠	٥٨	٩
العراق	١٩٣٠	٦٠	٨
مصر	٢٢٩٠	٦٩	١١
أمريكا اللاتينية			
بيرو	١٩٢٠	٥٢	١٤
المكسيك	٢٠٥٠	٥٥	١٦
البرازيل	٢٣٤٠	٦٤	٢٦
الأرجنتين	٣١٩٠	١٠٢	٦٦
افريقيا			
الكونغو	١٩٣٠	٤٢	٥
افريقيا الاستوائية الفرنسية	٢٠٧٠	٥٩	٨

اتحاد جنوب افريقيا	٢٥٢٠	٧٣	٢٧
الدول المتقـــدمة			
فرنسا	٢٧٧٠	٩٩	٤٠
روسيا	٣٠٢٠	٩٧	٢٥
أميركا	٣١٣٠	٩٠	٦٠
المملكة المتحدة	٣١٠٠	٩٢	٤٩
نيوزيلندة	٣٢٥٠	٩٦	٥٦

ان الفرق بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة أكثر اتساعا فى الواقع مما توحى به هذه الأرقام • فحينـــما تعطى المواد الزراعية كغذاء للحيوان فانها تفقد جزءا كبـــيرا من ثروتها الحرارية قبل أن تظهر فى شكل لبن أو دهن أو لحم •

وعلى ضوء هذه الملاحظة ، يمكننا المقارنة بين مستوى غذاء الفرد الكورى مثلا والفرد النيوزيلندى ، ان هذا الأخير يستهلك ضعف الكورى من حيث عدد « الكالورى » ••• ولكنه ، فى واقع الأمر يســتهلك أكثر من ذلك لأن ٣١٪ من مجموع استهلاكه ينتجه عالم الحيوان •

أما فى كوريا فان نسبة الكالورى الحيـــوانى لاتــكاد تصل الى ٦٪ •

وبعملية حسابية بسيطة ، يمكننا أن نقرر أن النيوزيلندى يستهلك أربعة أضعاف الكورى من « الكالورى » النباتى ••

وواضح آن مثل هذا المستوى الغذائى المنخفض يؤثر كثـــيرا على انتاجية الفرد .

نقص البروتين :

يوضح العمود الثانى من الجدول الســابق متوســـط استهلاك البروتين لكل فرد فى اليوم الواحد مقدرا بالجرام .. كما يظهر أن الفرق بين الدول المتخلفة والدول المتقــدمة هو ١ : ٢ ... ولكن الأرقام هنا لا تترجم الأوضاع بدقة ...

فان نسبةالبروتينالحيوانى الى البروتين الأجمالى (العمود رقم ٣)تبين أن الفرق بين المجموعتين من هذه الدول أهم بكثير مما تبرزهالاحصائيات ، فالبروتينالحيوانى وحده يعد غذاء كاملا وقيمتهالبيولوجية تفوق كثيرا البروتينالنباتي ، ولهذا فان نقص البروتينالحيوانى يسبب ضعفا فىالمقاومة وخاصة ضد الأمراض المعدية كالسل والالتهاب الرئوى والدوسنطاريا والتيفوس .

ويعتبر بعض الخبراء أن استهـــلاك اللحوم المتزايد فى الطبقات الغنية فى الدول الفقيرة المكتظة بالسكان يعنى القضاء على الطبقات المعدمة بسبب « عدد الكالورى » التى تفقد فى تغذية الحيوان ، وهكذا يصبح آكل اللحوم فى مثل هـــذه الدول « آكلا للبشر » ! .

ويضـــاف الى نقص البروتين فى الدول المتخلفة نقص

الكالسيوم الذى يسبب لين العظـام ونقص الفيتامينات الذى يسبب أمراض البرى برى والاسقربوط ... ونقص اليود الذى ينشأ عنه مرض « الجواتر » .

وهناك حقيقة أخيرة لا تبرزها أرقام الجدول السابق : فالأرقام الواردة فيه هي فى الواقع عبارة عن « متوسطات » ، وهذا يعنى أن عددا كبيرا ممن تنطبق عليهم هذه الأرقام هم فى مستوى أقل بكثير مما تبرزه هذه البيانات الرقمية ، فالبلاد المتخلفة تتميز بفروق طبقية كبيرة .... ووجود أقلية موسرة أو فاحشة الثراء ترفع مستـوى المتوسطات الاحصائية وتخفى بالتالى ـ بعض الشىء ـ حقيقة البـؤس المتفشى فى الدول المتخلفة .

ان الحقيقة ـ هى أن معظم شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، يعانون من الجوع المزمن ! .

المجهود الكبير الذى يجب القيام به : ـ

قدر بعض الخـبراء الزيادة فى الموارد الغـذائية على أساس ما كان منها متوفرا فى فترة ما قبل الحـرب العالمية الأخيرة ، وفى حالة تمتع كل فرد فى العـالم (عام ١٩٦٠) بمستوى غذائى عادى كالآتى :

الحبـوب	٢١٪
الجذور والبطاطس وما شابه ذلك	٢٧٪

السكر	٪۱۲
الدهون	٪٣٤
الخضروات والفواكه	٪١٦٣
اللحوم	٪٤٦
الألبان	٪١٠٠

وهو ما يعنى بالنسبة لأرقام ما قبل الحرب ٦٠ مليون طن اضافى من الحبوب ، ٣٠ مليون طن من اللحوم ، ٢٥٠ مليون طن من الخضر والفاكهة .

ومن المدهش حقا أن الطبقات الغنية فى العالم لا تثيرها هذه الأرقام والبيانات !

الجزء الثانى
حلقة البؤس المفرغة

كثيرا مايقولون أن الاوربى يمكن ان ينجز عمل أربعة من الأعراب ، وأن أعرابيا واحدا يمكن أن يقوم بعمل أربعة من أبناء الجنس الأسود .

ان هذا القول لا يعنى الا شيئا واحدا ، وهو أن اختلاف انتاج العمل نتيجة مباشرة لاختلاف المستوى الغذائى ، الفقر يولد الفقر ، والفقير اذا ترك لنفسه لا يقوى على تغيير أوضاعه .

وهناك فى العالم شعوب بأجمعها تعانى الجوع . وبالتالى الضعف الجثمانى ، وهى فريسة سهلة لمختلف الامراض ولاتملك بمفردها القوة اللازمة للخروج من حلقة البؤس المفرغة .

وهذه الحلقة المفرغة : المرض ــ الفقر ــ ضعف الانتاج ــ سوء التغذية تكتمل مراحلها على الوجه التالى : يصبح الناس فريسة للأمراض لأنهم فقراء ، وهم يزدادون فقرا لأنهم مرضى ... وازدياد الفقر يولد بدوره ازدياد المرض !

ان هذه الحلقة الخبيثة لا يمكن أن تتحطم الا اذا تخلت

الدول الغنية (أمام الجوع الذى تتزايد خطورته فى الدول المتخلفة) عن سياسة الخوف التى تنتهجها حاليا ازاء ما يسمونه بفائض الانتاج ، واتباع سياسة جديدة واقعية تهدف الى تحقيق التقدم الاقتصادى المتكافىء فى أرجاء العالم أجمع .

ان تجاهل أهمية هذه المشكلة ــ التى يقــع على عاتق الانسانية جمعاء عبء حلها ــ لايعنى غير تنمية محصول وفير من البؤس والثورة !

ـ ٦ ـ

العقبات التى تقف فى سبيل التنمية الزراعية

ان الانتاج الزراعى فى أميركا الشمالية يزيد بمعدل أسرع من معدلات زيادة السكان . أما فى منطقة الشرق الأقصى ، فقد انخفض مستوى الانتاج الزراعى عما كان عليه قبل الحرب العالمية الأخيرة مع زيادة مستمرة فى عدد السكان .

وفى أميركا اللاتينية زاد الانتاج الزراعى ولكن بمعــدل أقل من زيادة عدد السكان .

وأخيرا نجد نسبة زيادة الانتاج الزراعى فى افريقــيا لا تقارن بنسبة الزيادة السكانية فيها .

ونحن اذا قارنا مستوى الانتاج الزراعى الحالى بما كان عليه عام ١٩٢٥ ــ ١٩٢٩ وهى أكبر فترة رخاء فى تلك الحقبة ، لوجدنا أن الانتاج الزراعى ينخفض فى الدول الفقيرة ، ويرتفع بحدة فى الدول الغنية ، مما يزيد الهوة اتساعا بين الاثنين .

ضعف التربة الزراعية وقلة الأسمدة :

ان ضـعف التربة وفقدان خصـوبتها يعد من الأمور الشائعة فى الدول المتخلفة وخاصة الدول الكثيفة السكان .. فاستخدام الأسمدة بأنواعها يكلف الكثير ولا يقوى علـيه الفلاح المعدم ، ولهـذا فان الدول المتقدمة وحـدها هى التى تستخدم الاسمدة بكميات كافية ... فأوربا مثلا تسـتهلك أكثر من نصف الأسـ‍ـ‍ـة الكيماوية المنتجة فى العالم أجمع .

ضعف مستوى الآلات فى قطاع الزراعة :

يوضح الجدول التالى المساحة المنزرعة (مقدرة بالهكتار) لكل جرار مستخدم فى سنة ١٩٥٣

الشرق الأقـصى	٨٥٠٠	أوروبـا	١٠٤
الشرق الأوسـط	١٢٠٠	الاقيـانوس	١٠٠
أميركا اللاتينـية	٤٧٠		
الاتحاد السـوفيتى	٢٣٠	أميركا الشمالية	٥٠

هذا بالاضافة الى أن اسـتخدام الجرارات فى الدول المتخلفة يصادف عقبات عدة : تعطل سريع بسـبب عدم كفاءة الاستخدام ... قلة قطع الغيار ... ندرة ورش الصيانة .. قلة الفنيين المتخصصين فى عمليات الاصلاح ... الخ ...

أسطورة المساحات الشاسعة القابلة للاستغلال الزراعى :

هناك عقبة أخرى هى قلة مســاحة الأراضى المنزرعة أو القابلة للزراعة فى كثير من الدول المتخلفة ... فمثلا فى افريقيا نجد أن مساحة الأراضى المنزرعة ضئيلة للغاية كما هو الحال فى تنجانيقا التى تعتبر ممثلة لمعظم مناطق شرق افريقيا حيث تبلغ الأراضى المنزرعة ١٪ فقط من مجموع المساحة الكلية .

وكثيرا ما نسمع عن مســاحات كبيرة يمكن زراعتها فى العالم المتخلف ... ولكن فى هــذا القول كثير من المبــالغة ، فماذا يمكن أن تصنع مصر بصحاريها الرملية الشاسعة ... وبيرو حيث لاتبدأ الزراعة الا عند أعالى الجبال ... وشيلى بصحرائها المتشعبة فى جميع الاتجاهات ... والبرازيل بغاباتها التى تملأ مناطق الامازون ؟

ان تكاليف استصلاح مثل هذه الأراضى لاستغلالها فى الزراعة تعــد باهظة للغاية مما يخرجها عن حدود الامكانيات العملية .

الاستخدام السيىء للتربة الزراعية :

وكثيرا مايحدث ــ كما هو الحال فى أمريكا اللاتينية ــ أن تترك الملكيات الواســعة لقطعان الماشــية ترعى فيها كمــا تشــاء ... ان مثل هذه الأوضــاع فى بلدان يعانى أهلها من

الجوع ، تعد جريمة كبرى لايمكن أن يمحوها غير قوانين تقدمية للاصلاح الزراعى .

وقد أبرز خبراء البنك الدولى للانشاء والتعمير هذه الأوضاع المميزة لأميركا اللاتينية فى تقاريرهم : ان المناطق التى تسود فيها المراعى الواسعة لايمكن بسبب عناد ملاكها استخدامها فى انتاج الحبوب وغيرها من النباتات الغذائية لسد حاجيات سكان المدن أو سكان الريف أنفسهم لهذا نجد أن كثيرا من دول أميركا اللاتينية التى تغلب عليها الصبغة الزراعية وتملك أراض زراعية كثيرة تضطر الى استيراد المواد الغذائية من الخارج لاشباع حاجيات الاستهلاك فى الوقت الذى يمكنها انتاج هذه المواد داخليا .

ضعف الطاقة الاستثمارية :

تستوجب برامج التنمية الزراعية ضرورة استثمار رءوس أموال ضخمة وهو الأمر الذى لاتقوى على احتماله غالبية الدول المتخلفة ... فمثلا ، حينما نجد أن الدانمرك وحدها وعدد سكانها لايزيد على ٤٫٥ مليون نسمة قد خصصت مايزيد عن ٦٠٠ر مليون دولارا للاستثمار فى قطاع الزراعة خلال الفترة مابين ١٩٤٦ ــ ١٩٥٤ ، نجد أن الهند وعدد سكانها حوالى ٤٠٠ مليون نسمة لم تستطع أن تستثمر غير ٢٠٠ مليون دولارا خلال الثلاث سنوات الأولى من خطتها الخمسية أى فى

خلال الفترة مابين ١٩٥١ ــ ١٩٥٣ وكذلك حوالي مليار ونصف من الدولارات فى ميادين الرى والصرف والكهرباء والمواصلات والخدمات الاجتماعية .

أما فى اليابان ، فقد بلغت الاستثمارات الحكومية الخاصة بالزراعة والغابات والصيد ٣٩٢ مليون دولارا خلال الفترة ١٩٤٨/١٩٥٢ منها ٩٨ مليون دولارا استثمرت بوساطة الحكومة مباشرة ، والباقى على هيئة اعانات وقروض قدمتها الحكومة للمزارعين .

أما فى مصر ، فقد قدرت قيمة الاستثمارات الزراعية عن الفترة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ الى ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ بما يقرب من ٤ر٤ مليون دولارا .

نشاط المرابين :

يعيش العاملون فى الزراعة بالدول المتخلفة فى حالة من البؤس تضطرهم دائما الى الاقتراض ••• ولكن المؤسسات المصرفية هناك لاتتلاءم مع مطالب صغار أو متوسطى الزراع ••• ولهذا فهم يلجأون عادة الى المرابين .

وتشير وثائق الأمم المتحدة الى هذه الأوضاع ... فتذكر أن معظم قروض الريفيين تكون بغرض الاستهلاك ، وهى تعقد بسعر فائدة مرتفع للغاية مما يعجز المقترضين عن السداد

ويضطرهم الى التخلى عن ملكياتهم لأصحاب الديون ومن ثم ينزلقون الى مرتبة العمال الزراعيين .

وينتج عن ذلك تضخم بعض الملكيات كما هو حادث فى منطقة جنوب شرق آسيا ، ففى بورما مثلا ارتفعت نسبة الأراضى التى يملكها المرابون الذين لاينتمون الى طبقة الزراع من ١٩٪ الى ٥٠٪ وذلك خلال سبع سنوات فقط .

ويعقد كبار ملاك الأراضى فى الهند قروضا لصغار الفلاحين بسعر فائدة يتراوح مابين ٩٪ ، ١٢٪ ... وكثيرا مايدفع الفلاحون سعر فائدة يتراوح مابين ١٢٪ ، ٥٠٪ للقروض ذات الضمان ، ٣٠٠٪ للقروض غير المضمونة .

وواضح أن علاج الربا هو فى انشاء بنوك التسليف التعاونية .

عقبات أخرى :

تعتبر ندرة مياه الرى من الظواهر الشائعة فى منطقة الشرق الأوسط أما الفيضانات الخطرة فهى أشد ضررا على المحاصيل والماشية فى بلدان الشرق الأقصى .

ففى الهند مثلا ، يبلغ متوسط المساحة التى تغرقها الفيضانات مايقرب من ٦٠٠ر٠٠٠ هكتار ، أما عدد السكان الذى يضرهم الفيضان فيبلغ ٩٠٠ر٠٠٠ شخص .

وتشتهر أنهار « الجانج » و «الميكونج» و «الهندوس» و « الميناء » بفيضاناتها المخربة وكثيرا ماينشأ عن نقص وسائل التخزين والمواصلات تلف كبير فى مختلف المحاصيل فى بلدان تنفشى فى بعض مقاطعاتها المجاعات الجزئية .

— ٧ —

العقبات التى تقف فى سبيل التصنيع

وهناك ثلاث حقائق يجب ابرازها :

١ ــ نقص فى الموارد والوسائل الاقتصادية الأساسية .

٢ ــ تنمية غير متوازنة بين مختلف قطاعات الاقتصاد .

٣ ــ ضيق حجم السوق الداخلى .

أولا ــ

نقص الموارد والوسائل الاقتصادية الأساسية

ا ــ ليس هناك من شـــك فى أن ضعف وسائل النقل والمواصلات يجعل من الصعب انشــاء المصانع التمويلية خارج بعض المراكز المعينة كتلك التى تملك مرفأ مثلا يصــلها بالعالم الخارجى .

ب ــ أما نقص الوقود فيحتم القيام باستثمارات ضخمة لاتقوى على تحملها معظم اقتصاديات الدول المتخلفة .

جـ ـ عدم وجود الصناعات التى تستخدم مخلفات صناعات أخرى (أو ناتج فرعى لهذه الصناعات) يجعل أمر انشاء الصناعات الأساسية ضربا من ضروب المخاطرة .

د ـ عدم ضمان وصول بعض المواد الأولية أو قطع الغيار يحتم على رجال الأعمال فى الدول المتخلفة تكوين « مخزون » ضخم يكلفهم الكثير بعكس الحال فى الدول الصناعية المتقدمة .

ثانيا :

عدم التوازن بين قطاعات الاقتصاد المختلفة :

ان وجود اقتصاد بدائى مغلق جنبا الى جنب مع اقتصاد تجارى يعتمد على التبادل السلعى يخلف مجموعة من المتناقضات الاقتصادية والاجتماعية ... فمعظم المؤسسات الصناعية التى تظهر فى فترات التنمية الأولى تعمل عادة على انتاج سلع الاستهلاك الشعبى ... ولهذا ، فاذا حدث عدم توازن فى تنمية مختلف قطاعات الاقتصاد أو اذا تمت مثل هذه التنمية بدرجات متفاوتة ، فان رقعة السوق لن تتسع الى الحد الكافى لاستيعاب انتاج الصناعات الجديدة التى تضطر نتيجة لذلك الى عدم التوسع حتى فى بلوغ الحد الأمثل التى تبلغ معه تكاليف الانتاج الخد الأدنى .

ومن ناحية أخرى . فكثيرا ماينتجه رأس المال صوب

القطاعات غير الرئيسية ... كتشييد المبانى السكنية غير الشعبية التى ترضى رغبات فئة محدودة تتمتع بمستوى دخل مرتفع .

ثالثا ـ

ضيق السوق المحلى :

العقبات هنا كثيرة ومتعددة ... صغر البلد نفسه مما يعوق بعض الصناعات الى بلوغ الحجم « الاقتصادى » وضعف مستوى الدخول عند معظم طوائف السكان ، تفضيل السلع الرخيصة ذات الجودة المتواضعة ... وكذلك بعد جماعات من السكان عن المراكز التجارية المحدودة ... صعوبة غزو الأسواق الخارجية لتعويض ضعف مستوى الطلب فى السوق الداخلى ... الخ ...

الموقف الاجتماعى

من المعروف أن الطابع الزراعى هو الغالب على المجتمعات المتخلفة ، ويتميز هذا المجتمع بتقاليده القديمة الموروثة ، وبنمط اقتصادى خاص يطلق عليه عادة « الاقتصاد العائلى المغلق » وهو نظام لايؤهل أفراد المجتمع لادارة المؤسسات الصناعية .

ولهذا ، فلايمكن الحصول على رجال الأعمال فى غير الطبقات العليا المحدودة العدد الى درجة كبيرة وحتى أفراد

هذه الطبقات تبعدهم التقاليد ونمط الحياة الذى يعيشونه عن الدخول فى ميادين الصناعة .

وليس هناك شــك فى أن مســتوى التعليم المنخفض فى الدول المتخلفة يعد عقبة كأداء فى سبيل التقــدم الصــناعى ، وكذلك الحالة الصحية العامة ــ فالأمراض «الجماعية» تضعف الانتاج كما تسبب انقطاع العمال عن مصانعهم .

ومن الملاحظ فى المجتمعــات المتخلفة ، أن فائض الدخل الذى يتمتع به فئة محــدودة من السكان يضيع فى اســتهلاك السلع الكمالية وشراء الأراضى الزراعية وقطعان الماشــية ... لا للاســـتغلال الاقتصادى بل للتفــاخر والتمتع بالجاه ... واستثمار (أو تهريب) رءوس الأموال الى الدول المتقدمة .

يضاف الى هــذه العوامل كلها ، وهى كما رأينا عوامل معرقلة لحركة التنمية ، ضعف مستوى الادارة الحكومية .

عقبات ذات طابع دولى

تبرز تقارير الأمم المتحدة ثلاثة أنواع من هذه العقبات :

١ ــ تعتمــد الدول المتخلفة فى الحصـــول على آلاتها ومعداتها على الدول الصناعية . ولهذا فمن الممكن أن تجــد هذه الدول المتخلفة بعض الصعوبات فى سبيل حصــولها على مايلزمها من معدات اذا كانت الدول المتقدمة نفسها مشغولة فى

اعادة بناء اقتصادياتها (بعد حالة حرب مثلا) أو اذا أعوزتها العملة الأجنبية .

هذا بالاضـافة الى أن معظم الآلات المنتجـة فى الدول المتقدمة لاتتلاءم فنيا مع مراحل التنميـة الأولى التى تقطعها الدول الزراعية المتخلفة .

٢ ــ تعمـد الدول الصـناعية عادة الى وضـع مختلف العراقيل فى طريق تصـنيع الدول الزراعية خوفا من فقـدان أسواقها وخشية منافستها فى المستقبل .

٣ ــ هناك عوائق كثيرة تضـعها الدول الغنية فى سبيل تصدير رءوس الأموال اللازمة لدفع عجلة التصنيع فى الدول النامية .

موارد الطاقة فى الدول المتخلفة

يمكن تقدير هـذه الموارد باسـتخدام طريقة التحويل الاكستيه (تحويل مختلف مصادر الطاقة الى كيلوات كهربائى) .

الكيلوات كهرباء = ٧٥٠ جرام من الفحم .

٢٢٥٠ جرام من الفحم « الليبنت »

٤٠٠ جرام من مشتقات البترول

ونصف متر مكعب من الغاز الطبيعى

على هذا الأسـاس ، قدر الخبراء موارد الطـاقة فى عام

١٩٥٠ لكل فرد سنويا بأقل من ١٠٠ ك . و . فى الهند وأندونيسيا .

١٥٠ ك . و . فى الصين وافريقيا .

٢٤٠ ك . و . فى أمريكا اللاتينية .

بينما كانت ٥٠٠٠ ك . و . أو أكثر فى كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وألمانيا .

وفى عام ١٩٥٢ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك ٣٥ر٩٪ من الطاقة المستعملة فى العالم أجمع ، بينما كانت أوروبا الغربية تستهلك ١٩٪ وأوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى ١٧ر٢٪ .

وبلغ مجموع استهلاك المناطق المتخلفة ١٨ر٩٪ منها ١٣ر٤٪ لآسيا ، ٣ر٨٪ لأميركا اللاتينية ، ١ر٧٪ لافريقيا (باستثناء اتحاد جنوب افريقيا) .

ان هذه الأرقام ، بالاضافة الى العوامل السابقة ، تكفى لالقاء الضوء على العقبات التى تقف فى سبيل تصنيع الدول المتخلفة .

- ٨ -

العقبات التى تقف فى سبيل التقدم الفنى

التقدم الفنى لايتم الا اذا سبقه تقدم فى ميادين التربية والتعليم :

انخفاض نسبة الأميين ، اتاحة الدراسة لأكبر عدد ممكن فى مراحل التعليم المختلفة ، الاكثار من المعاهد المهنية ــ اعداد عدد كبير من الأساتذة والمدرسين المتخصصين ... الخ

ومن المعروف أن أكثر هذه الشروط لاتتوافر فى المجتمعات النامية التى تتميز بالتأخر فى ميادين التعليم وادارة المؤسسات الصناعية بوجه خاص .

التخلف التعليمى :

توضح الأرقام التالية موقف الدول المتخلفة فى هذا الميدان.. انها تظهر أن جماعات برمتها من السكان لم تخط أقدامها عتبة المعاهد وبالتالى فهى لاتعرف حتى مجرد القراءة ..

« النسبة المئوية للأميين فى فئات العمر التى تزيد على عشر سنوات »

١ ــ الشرقين الأقصى والأدنى :

ايران	٤٠	الملايو	٦٢
الفلبين	٤٠	كوريا	٦٩
سيلان	٤٢	تركيا	٧٠
هونج كونج	٤٩	باكستان	٨٦
الصين	٥٥	بورينو البريطانية	٩٠
تايلاند	٦٠	الهند	٩٢
بورما	٦٠	أندونيسيا	٩٢

٢ ـ افريقيا :

أوغنده	٧٠	مصر	٨٥
سيراليون	٧١	نياسالاند	٩٣
غانا	٨٠	موزمبيق	٩٩

٣ ـ أمريكا اللاتينية :

شيلى	٢٨	البرازيل	٥٧
بورتريكو	٣٠	سلفادور	٦٠
بناما	٣٥	نيكارجوا	٦٣
كولومبيا	٤٤	جواتيمالا	٦٥
المكسيك	٥٢	هوندوراس	٦٦
اكوادور	٥٥	بوليفيا	٨٠
بيرو	٥٧		

هذا ، ومن الحقائق المعروفة أن طبقة المدرسين محدودة فىالدول المتخلفةومستواها العلمى يعتبر ـ عادة ـ غير مرتفع . ولما كانت معاهد تخريج رجال التربية والتعليم قليلة العدد ، فكثيرا مايلجأ المسئولون الىأشخاص غير مؤهلين للقيام بأعباء التدريس وتثقيف الجيل الصاعد . أما برامج الدراسة نفسها فمعظمها مقتبسة من برامج الدول المتقـدمة ـ أى انها غريبة عن واقع الأمور وأحوال البيئة فى الدول المتخلفة .

لهذه الأسباب مجتمعـة ، نجـد أن الغالبية العظمى من

العمال لاتقوى على الوصول الى درجة التخصص بالرغم مما قد تتحلى به من مهارة يدوية فائقة .

وتبين لنا الأرقام التالية مقدار تقلص طبقة الملاحظين ومديرى العمال والكتبة فى المجتمعات المتخلفة .

ـ فى الولايات المتحدة وكندا يدرس واحد من كل ٧٥ شخصا فى المعاهد العليا .

ـ تصل هذه النسبة الى واحد لكل ٣٥٠ شخصا فى اوروبا الغربية .

ـ وفى أمريكا اللاتينية نجدها واحدا لكل ٧٢٥ شخصا .

ـ وفى الشرق الأوسط واحدا لكل ١٢٥٠ شخصا .

ـ وأخيرا تبلغ فى القارة الآسيوية واحدا لكل ١٢٠٠ شخص .

ـ وفى افريقيا (باستثناء مصر واتحاد جنوب افريقيا) تبلغ نسبة الطلبة بأولئك الذين ينتمون الى المعاهد العليا شخص واحد لكل ٢٠٫٠٠٠ من السكان .

ندرة رجال الأعمال والمديرين

قد يحدث أن يظهر فى الدول المتخلفة طائفة من الرجال يملكون موهبة ادارة المؤسسات ، ومقدرة رجال الأعمال .

ولكن هــذه الطائفة قد تنجح فى ادارتها للمؤسســات المتوسطة الحجم ، فاذا انتقلت الى الشركات الضخمة وجـدت نفسها عاجزة ومثقلة بالعمل . ذلك لأنها تعودت أن تقوم بكل صغيرة وكبيرة ، ولاتعتمـد فى ادارتها على أحد ســواها ... ولهذا ، فهى لاتحيط نفسها بفئة الفنيين التى يمكنها أن تتحكم فى التطور الفنى والتجارى للمؤسسة التى يتولون أمورها .

وتضطر الدول المتخلفة التى تدخل فى طور التنميــة الى انشاء مؤسسات للتخطيط حيث يعوزها غالبا العدد الكافى من الخبراء مما يستدعى الاستعانة بهم من الخارج ... ولما كانت مدة اقامتهم قصيرة ، فان البلد المتخلف لايستطيع الافادة منهم على الوجه الأكمل . وكثيرا مانجد أنادارات التخطيط لاتملك السلطة الكافية لفرض وجهات نظرها .. كما يحدث أيضا تغيير مستمر للمسئولين عن هذه الأجهزة نتيجة لتغيير الوزارات .

كلهذا يضعف منفاعلية التخطيط والتوجيهالاقتصادى .

— ٩ —

العقبات الاقتصادية والمالية

الاقتصاد العالمى والدول المتخلفة :

تقف هذه الدول فىمبادلاتها مع الدول الصناعية المتقدمة موقفا ســيئا من النظرية الاقتصادية ... فهى مضــطرة الى استيراد مجموعة كبيرة من السلع المختلفة ، تصــدر فى مقابلها

عددا محـــدودا من منتجاتها (سلع زراعية ومواد أوليـــة) ؛ ولهذا ؛ فان أى تغيير فى سعر سلعة من السلع يكون له آثاره البالغة على اقتصادياتها بأجمعها ... فمثلا يعتمد اقتصاد غانا بنسبة ٩٦٪ على أسعار الكاكاو ، واقتصاد روديسيا الشـــمالية بنسبة ٩٥٪ على بعض المعادن ، واقتصاد نياسالاند ٧٨٪ على التبغ والشاى .

وأساس اعتماد اقتصاديات البلدان المتخلفة يكون متركزا على دخلها من صادراتها لشراء كل ماتحتاجه من عدد وآلات وغيرها من الخارج .

وهكذا يصبح من السهل تصور الكارثة التى تحيق بمثل هذه الدول على أثر تغير مفاجىء فى سعر السلعة الرئيسية التى تصدرها كالكاكاو بالنسبة لغانا مثلا ... هـــذا بالاضافة الى أن الدول المتخلفة تصبح دائما تحت رحمة عميلها المتقدم الذى يبتاع منها انتاجها .

الاقتصاد الداخلى للمجتمعات المتخلفة وحتمية التضـــخم المالى :

ان تحليل الاقتصاد الداخلى للدول المتخلفة يظهر ـــ مرة أخرى ـــ حلقـــة البؤس المقلقـــة التى تعيش فى داخلهـــا ... فمبادلاتها الخارجية تسبب عدم توازن داخلى ينجم عنه ظاهرة « التضخم » .

فحينما ترتفع أسعار السلع التصديرية وتزيد مؤقتا دخول الأفراد أو الحكومة فانه ينتج عن ذلك أن يشتد الطلب على السلع الاستهلاكية ــ وفى كثير من الأحوال ــ على السلع الكمالية ؛ فترتفع أسعارها لعدم تجاوب العرض مع الطلب .

أما فى حالة مايحدث العكس ... أى حينما تنكمش الدخول الناتجة من عمليات التصدير نتيجة لانخفاض الأسعار العالمية للسلع المصدرة ، فانه يحدث عجز فى ميزان المدفوعات ينتج عنه تخفيض لقيمة العملة وتحديد لكميات السلع المستوردة

ولما كانت ايرادات الدولة فى المجتمعات المتخلفة تعتمد كثيرا على الضرائب غير المباشرة ، ومنها الرسوم على السلع التصديرية فان أى انخفاض فى قيمة هذه الرسوم يقلل الى درجة كبيرة من ايرادات الدولة فى الوقت الذى لا تستطيع فيه أن تضغط مصروفاتها ... لهذا تضطر الى خلق النقود التى يقابلها أى انتاج مما يدفع حركة التضخم وارتفاع الاسعار من جديد ..

العقبات المالية

من الحقائق المعروفة أن الدول المتخلفة تعوزها رءوس الأموال .

ولقد قدر الخبراء أنه لكى تتحقق فى آسيا تنمية اقتصادية

لها خطرها فان ذلك يستلزم استثمارات ضخمة قد تبلغ ضعف الدخل القومي للولايات الأمريكية .

ومستوى الاستثمار الحالي في هذه الدول يعد منخفضا للغاية وذلك نتيجة للعوامل التالية : ـ

١ ـ ان الادخار لا يمثل غير جزء صغير من الدخل القومي (٥٪ للدول النامية ، ١٥٪ للدول الصناعية المتقدمة) ، والدخل القومي نفسه منخفض جدا بالنسبة لما هو عليه في الدول الصناعية - ولأيضاح الفارق بين الحالتين يكفى أن نسوق المثال الآتى :

يتراوح متوسط دخل الفرد فى الدول النامية بين ٥٠ ، ١٠٠ دولار فيكون ادخاره مقدرا على أساس ٥٪ ـ مساويا ل ٢٫٥ ـ ٥ دولارا .

أما فى الدول المتقدمة ، فيبلغ متوسط دخل الفرد من ٥٠٠ الى ١٫٥٠٠ دولارا ، فيكون متوسط ادخاره مقدرا على أساس ١٥٪ من ٧٥ الى ٢٢٥ دولارا .

وعلى هذا فان الدولة المتقدمة تستثمر لكل مواطن فيها من ١٠ الى ١٠٠ ضعف ما تستثمره الدولة المتخلفة .

٢ ـ يكون هذا الادخار فى الدول المتخلفة فى أيدى طائفة محدودة من الافراد .

٣ ــ يتجه جزء كبير من هذا الادخار الى الخارج أو الى أغراض غير منتجة •

٤ــ يستخدم جزء منه فى المضاربات الضــارة بالاقتصــاد القومى •

٥ــ أما الاستثمارات التى يتمخض عنها هذا الادخار ، فانها لا تتجه دائما الى الاتجاهات الهامة والضرورية سواء ذلك فى القطاع العام أو الخاص •

لهذا كله ، فان عجلةالتنمية لاتدور ، أو لاتدور الا ببطء شديد فبدلا من أن يتلاشى الفقر ، فانه يزداد حدة •

ــ ١٠ ــ

العقبات الاجتماعية

تظهر بعض هذه العقبات مثلا فى مقاومة الاوساط العائلية أو القبلية لانماط الحياة الجديدة فى المنــازعات التى تنشــب بين القبائل أو القرى فى نفوذ السحرة وبعض العادات الدينية القديمة فى تعدد البدع ذات الصبغة الدينية وتعارضــها فيما بينها وفيما بين الديانة الشائعة •

كل هذه العوامل مجتمعة تخلق عقبات كأداء فى ســبيل التنمية والتقدم الاقتصادى •

وكثيرا ماينفشى النضــال الحزبى فى المجتمعات المختلفة ،

فتتكاثر الاحزاب السياسية التى لاتعتنق أية « أيديولوجية » معينة ، بل يقودها حسب أهوائه الخاصة مغامر أو طموح ، كما تتحكم عدة عائلات اقطاعية قوية فى مصائر جموع غفيرة من الناس ، وينتج عن ذلك مفاهيم معينة للحياة الاجتماعية تحبذ تحكم فئة محدودة تصف نفسها الأرستوقراطية فى الادارة ومهام الدولة العليا .. هذه هى الاخرى عقبات تتراكم فى سبيل كل تقدم اقتصادى سريع متوازن .

وتبرز فى جميع هذه المجتمعات صعوبة الانتقال من حياة الريف الى حياة المدينة .. ومن حالة « البطالة المقنعة » الى حالة « العمل الكامل » .. ومن لون معين من ألوان الحياة يترك لصاحبه هامشا كبيرا لتحقيق أهوائه ورغباته الى لون آخر تحكمه الأنظمة الصارمة .. أنظمة العمل الصناعى ..

وماتكاد تظهر الطبقة المتوسطة فى هذه المجتمعات حتى تصاب بدورها « بحب التظاهر » مقلدة فى ذلك الفئات الحاكمة مما يبعدها عن القاعدة الشعبية ــ وتظهر احصائيات توزيع الدخل القومى فى هذه المجتمعات أن ٦٠ الى ٨٠٪ من الثروة القومية يملكها ٥ الى ٢٠٪ من مجموع السكان .

وسنكتفى فى هذا الفصل بدراسة بعض هذه المشاكل التى تنفرد بها البلدان النامية .

هيكل اجتماعى غير متوازن

أن تقدم الدول المتخلفة ليس فقط مشكلة اقتصادية ، ولقد نتج عن تجاهل هذه الحقيقة عدم نجاح الكثير من خطط التنمية فان أحدث المعدات والآلات يمكن أن تبقى جامدة ان لم تجد رجالا اكفاء لتشغيلها فى بيئة معدةلاستقبال كل جديد واستيعاب كل تقدم ..

ان الهيــكل الاجتمــاعى لمعظم الدول المتخلفة غير متوازن فليس هناك أية صلات بين الاقليات المترفة سواء الاقطاعيةمنها أو صاحبة الادارة وبين مجموع الشعب الغارق فى فقره وجهله كما أنه لا يوجد بين هاتين الفئتين طبقة متوسطة يمكن أن يخرج منها رجال يتحكمون فى الحياة الاقتصــادية أو السياسية أما الاجهزة الســياسية فاننا نجدها ــ فى العــادة ــ غير ملائمة للبيئة التى وجدت فيها ، فكثيرا ما ينتج أكبر ضرر من ادخال الانظمة الديمقراطية البرلمانية بطريقة بدائية وغير عملية ، محاكاة لما هو قائم فى الدول المتقدمة .

المظاهر الضارة لتضخم المدن

لقد تضاعف على سبيل المثال ــ عدد سكان سنغافورة فى أقل من عشرين سنة أما فى هونج كونج ، فقد بلغ عدد سكانها الآن ٢ مليون نسمة مقابل ٨٠٠ر٠٠٠ فى سنة ١٩٣١ ولهذا ، فليس من الغريب أن تعانى هاتان المدينتان من الانفجار السكانى وأن

يعيش جانب كبير من سكانها مكدسين فى الاكواخ مما يسبب الكثير من المشكلات الصحية كانتشار بعض ألامراض التى تأخذ شكلا وبائيا كالسل •

ان الدخول فى المدينة الصناعية وفى محيط التبادل الدولى يخلق ــ من ناحية ــ قيما مادية لها جانب لازم ضرورى ، ويهدم من ناحية أخرى ــ بعض القيم المعنوية الاصيلة •

ويجب علينا أن نقر أنه حتى الآن لم يستطع الغرب الذى يخضع لقانون اشباع الحاجات المتزايدة ، ولا الدول ألنامية التى تضطرها الظروف الى قطع القرون فى سنوات كى تستطيع اللحاق بركب الحضارة ــ لم يستطيعا تكوين اطار ملائم للتنمية الاقتصادية المتوازنة •

لقد حاولت الدول الصناعية المتقدمة مقاومة الامراض الاجتماعية بزيادة الانفاق الحكومى على مختلف الخدمات ، واستطاعت تحمل هذه الاعباء لازدياد معدلات الانتاج فيها •• والامر على النقيض فى الدول النامية ، ففى بلد يبلغ متوسط دخل الفرد فيه ٥٠٠ دولار ، يمكن للحكومة أن تنفق على الخدمات عن طريق ميزانيتها ــ مالا يقل عن خمسين دولارا لكل مواطن من مواطنيها ••

أما فى بلد لا يتعدى متوسط دخل الفرد فيه المائة دولار ، فان الانفاق على الخدمات بالنسبة لكل فرد لا يمكن أن يزيد خمسة دولارات •

خاتمة الجزء الاول

حللنا فى هذا الجزء أوضـاع الدول المتخلفة ، وأشرنا الى العديد من العقبات التى تقف فى سبيل تقدمها وارتقائها • ويمكن القول : أن الانسانية لم تجد نفسها فى يوم من الايام فى مثل هذه المجموعة من المشكلات التى تقع على عاتقها •

ان تقديرات الخبراء تؤكد أن سكان العالم سيتزايدون بما يتردد بين ٢ ، ٣ مليارات نسمة حتى نهاية هذا القرن ، وهؤلاء القادمون الجدد لا ينبغى اطعامهم فحسب بل اسكانهم وتثقيفهم

وتزداد هذه المشـكلة خطورة حينما نعلم أن ثـلاثة أرباع سكان العالم الحاليين يعانون من سوء التغذية ، ولكى يصل العالم الى مستوى غذائى مقبـول أو كاف فانه يجب ــ مع أخذ أقل معدل لزيادة السكان فى الحسـبان ــ أن يضـاعف الانتاج الزراعى ثلاث مرات على الاقل فى خلال أربعين سنة ، ويعاد توزيع هذا الانتاج على أسس عادلة •

أن الفرق بين معدل الانفاق الفردى فى الدول المتخلفة والدول المتقـدمة كما يقدره الخبراء يبلغ ١ الى ٤٠ ــ ومن المتوقع أن يزداد هذا الفرق اتساعا فى الاربعين سنة القادمة فى حالة بقاء الأوضاع الراهنة على حالها فيبلغ ١ الى ١٠٠ •

وهكذا سيجد العالم نفسـه فى موقف « غاية فى التعقيد » تقف أمامه الدول الكبرى والأجهزة الدولية عاجزة مشلولة ••

وسيحتم التطور داخل هذا الاطار ظهور الديكتاتوريات السافرة أو المقنعة فى معظم الدول المتخلفة ، وستتبع بعض الدول القوية نسبيا سياسة القوة والسيطرة على جيرانها .

ان هذه التنبؤات لن تتحقق الا اذا استمرت الدول الكبرى في تطبيق سياستها التقليدية وارتكاب نفس الأخطاء ..
لهذا ، يصبح من واجب الباحث أن يدرس بدقة الدور الذى تلعبه الدول التى فى مقـدورها بذل العون لتحقيق التقـدم الاقتصادى المنشود فى المجتمعات المتخلفة .

ويصبح من السهل بعد تقد أخطاء هذه الدول تحديد الأسس التى يجب أن تشاد عليها مدينة جديدة تحترم « أى رجل .. ..وجميع الرجال .. »

الجزء الثانى

ضرورة خلق مدنية جديدة

الفصل الاول

سياسة الماضى ومواقف الامس

بعد أن بينا بأمانة ، وبقدر ماتسمح به معلوماتنا الاحصائية موقف العالم اليوم وانقسامه الى دول غنيمة تملك الكثير ودول فقيرة لا تملك غير بؤسها يجب أن نحدد مسئولية العالم الغربى ازاء هذا الموقف .

نود أن نبرز هنا أن انتهاء عصر الامبرطوريات الاستعمارية لن يغير من الموقف كثيرا ، فهناك لون جديدمن الاستعمار يحاول أن يأخذ مكان الاستعمار التقليدى .

ان تحليل بعض جوانب التاريخ الحديث وتطور الاحداث التى تجرى أمام أعيننا يبرز بوضوح الاخطاء التى ارتكبها النظام الرأسمالى . فهذا النظام الاقتصادى لايمكن أن يعيش الا اذا تغير تغيرا جذريا ، فلايعود يشيد الا قليلا بما هو عليه الآن .

فاذا ماركب رأسه واستمر فى نفس خط السير الذى رسم له فى القرن الماضى عجز عن تحقيق التنمية على مستوى عالمى الامر الذى يستطيع وحده القضاء على أعداء الانسان : الفقر .. والجوع والمرض ..

الاستعمار الاقتصادى

حلت السيطرة الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى محل السيطرة البريطانية التى شملت العالم كله خلال القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ... فلقد أظهرت وثائق الامم المتحدة هذه الظاهرة بوضوح ، كما أظهرتها كتابات الكثيرين من الخبراء ، ولنتأمل سويا أرقام الجدول الآتى : —

« نسبة الصادرات الدولية التى تستحوذ عليها الولايات المتحدة الأمريكية »

سكر القصب	٤٠	معدن النحاس	٤٥	البترول الخام	٢٠
البن	٦٠	معدن القصدير	٦٠	خام الحديد	٢٠
الكاكاو	٤٠	الألمنيوم	٢٠	ورق الصحف	٤٠
الصوف	٢٥	النيكل	٧٠	ساعات يد وحائط	٥٠
الحرير	٣٠	الزنك	٣٠	مصنوعات زجاجية	٢٠
المطاط	٤٠			سيراميك	٤٠

ان هذه الارقام وان دلت على مدى تبعية الاقتصاد

الأمريكى للعالم الخارجى ، فانها تدل كذلك على مدى تبعية الكثير من الدول المصدرة للولايات المتحدة .

فالولايات المتحدة تستأثر على الـ ١/٨ من قيمة التجارة الدولية ؛ كما تقدر صادراتها بـ ١/٦ من قيمة الصادرات الدولية وهذان الرقمان وحدهما يكفيان لتحديد موقف هذا البلد بالنسبة للاقتصاد العالمى .

لقد بينا أثناء تحليلنا لاقتصاديات الدول المتخلفة مدى تأثر هذه الدول بتيارات التبادل الدولى ، فهى بحكم كونها دولا مصدرة للمواد الأولية والمنتجات الزراعية تتأثر لأية أزمة ــ مهما كانت أزمة عارضة أو خفيفة ــ قد تصيب الاقتصاد الأميركى .

وهكذا ، وبحكم الأوضاع الراهنة ، تخضع معظم بلدان العالم غير الشيوعية للسيطرة الاقتصادية الاميركية . ومما يزيد الأمر تعقيدا هو ضرورة دفع ثمن البضائع الأميركية بالعملة الصعبة النادرة .. بالدولار .

ان التعبير الشائع الاستعمال ، ونعنى به « العالم الحر » يخفى الحقيقة .. حقيقة عالم « تابع » لقوة الولايات المتحدة الاقتصادية التى تضم ٦٪ فقط من سكان العالم ، ولكنها تنتج وتستهلك ٤٠٪ من مختلف المنتجات فى العالم .

من الواضح أن الدولة التى تهيمن على الاقتصاد العالمى ، يقع على كاهلها مسـئوليات ضخام ، الأمر الذى لم تدركه الولايات المتحدة الأميركية ادراكا تاما حتى الآن .

لقد وجه لأميركا الكثير من النقد ، وخاصة بالنسبة الى موقفها تجاه الدول المتخلفة ، فهى مثلا تدعو الى تطبيق سياسة تحديد النسل فى بلد كالهند ، ان سياسة أميركا تهدف بوجه عام الى عرقلة تقدم هذه الدول ... فبعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر الدول المصدرة للخامات والمواد الأولية ، أصبحت الآن من الدول المستوردة وأن مستوى انتاجها المرتفع يرجع أساسا الى العامل الانسانى ، ولكنه فى نفس الوقت مصدر هام من مصادر « تبذير » المادة .. ، فلا يخفى على أحد أن مساحات شاسعة من أراضيها قد أصبحت غير صالحة للاستغلال كما أن هناك مساحات أخرى فى طريقها الى نفس المصير .

لقد أعلن روزفلت فى عام ١٩٣٤ أنه اذا نشبت حرب عالمية أخرى فان أميركا ــ كى تخوضها ــ يجب عليها أن تستعمل بترول الآخرين !

واليوم تهيمن الشركات الكبرى على ٧٥٪ من البترول العالمى ، ولقد ابتلع الشرق الأوسط بمفرده ٢٥٪ من اجمالى استثمارات الولايات المتحدة الأميركية فى الخارج منذ عام ١٩٤٥ .

والهدف من هذه الاستثمارات ليس تنمية منطقة الشرق الأوسط ، بل استخراج البترول من أراضـــيه ، كما تبحث الولايات المتحدة عن خام الحديد فى كندا وأميركا الجنوبية ، وعن اليورانيوم فى الكونجو ... الخ .

وان كل محاولة لانشاء الافران العـالية فى أية بقعة من أميركا اللاتينية توضع أمامها العراقيل وتخفق فى مهدها ...

ان صيحة التحذير التى يجب أن تطلق لايقاف هـــذه الآلة الجبارة التى تنتج الكثير لأصحابها على حساب الآخرين لا يمكن أن تدوى الا من خارج « العالم الحديث » .

أخطاء النـــظام الرأسمالى

فى رأى كثير من الخبراء أن العـــمل الفردى فى اطار النظام الرأسمالى البحت أو النظم التى اتخذتها الرأسمالية فى عصرنا الحاضر ، لا بد عاجز عن تطوير العالم المتخلف وتطهيره من الفقر والجهل والمرض . فدور الرأسمالية الاســاسى هو استغلال بعض الموارد من أجل انتاج سلع وعرضها فى السوق مع تحقيق أكبر قسط ممكن من الربح .

وعلى هــذا فان الرأســـمالية لا تهتم الا بما يجلب لها الربح ، لا بما هو ضرورى للمجتمع وأفراده ــ والضرورى فى

النظم الرأسمالية هو ما يبدو كذلك فى الدول الغنية لا فى الدول التى تستغل فيها المواد المنتجة .

يصف « ماما ووصينا » فى مؤلفه (خواطر عن اقتصاديات افريقيا السوداء) كيفية تطور الرأسمالية فى الدول النـامية فيقول : ان النظام الرأسمالى لا يهمه غير البحث عن الأسواق لتصريف منتجاته الصناعية ، وهو لا يستثمر فى الخـارج أى مقدار من رأس المال ، بل « الفائض » فقـط عن احتياجاته ، ويعمل بشتى الوســائل على السيطرة على مراكز تغذيه بالمواد الأولية .. لهذه الأسباب مجتمعة نجده يأخذ فى الدول النامية موقفا يخالف تماما موقفه فى موطنه الأصلى .

ان احدى اتجاهاته المميزة هى عرقلة أية محاولة للتصنيع فى أية منطقة فى القارة الافريقيــة ، وهو فى ذلك لايخالف طبيعته المتأصلة فيه ، وهى جعل هذه البلاد ، دائما ، أسواقا مفتوحة تعيش عليها الصناعات الأوربية والأميركية . ان ما يهمه فى هذه البلاد هو انتاج الخامات والموارد الاولية اللازمة لصـناعات الدول المسيطرة ، وكذلك المنتجات الغذائية لاشباع حاجيات شعوب هذه الدول .

أما رءوس الأموال فتستثمر فى القطاعات التى تعودبالربح الوفير على المساهمين غيرالافريقيين : كقطاعات الزراعةوالتصدير والتعدين . ولا تعنى الرأسمالية بالنســبة للزراعة بتنمــية

المحصولات الغذائية ، بل هي تهدف ــ قبـــل كل شيء الى الاكثار من المحصولات « الصناعية » كالبن والقطن وما شابه ذلك .

وهكذا يحل محل الاقتصاد الريفى الذى يكفى نفســه بنفسه ، اقتصاد ذو طابع رأسمالى لا هم له غير تجميع الثروات فى أيدى فئة من المساهمين .

من السهل اذن أن نســتنتج الآثار الوبيلة التى تنتج عن مثل هذا الاقتصاد : جمــود وعقم الزراعة الافريقية على أثر فساد التربة وبوارها ، الأمر الذى لا يمكن علاجه الا بالحد من زراعة المنتجات التصديرية وتحســين الوسائل الفنية ورفع مستوى طبقة الزراع الافريقيين .

ولكن هذا يحتم على الرأسمالية الاستعمارية قلب آرائها رأسا على عقب لتقبل مبدأ تحسين مستوى الرجل الأســـود بفضل وسائل البحث العلمى .

ويختلف واقع الأمر عن ذلك تماما ، فالرأسمالية ــ لجريها وراء الربح ــ أفســـدت رأس المال الطبيعى وهو الأرض ، وانعكس ذلك على السكان ، لأن تشجيع المحاصيل الصــناعية على حساب المحاصيل الغذائية سبب سوء التغذية وما يتبعها من أمراض .

ومسئولية الرأسمالية تظهر مرة أخرى بوضوح فى ميدان

كتب « جونار ميروال » عام ١٩٥٢ يقول : ان مجهودات التسليح الحالية زادت من قوة التيارات القـديمة ألتى ترمى الى تنشيط الاستثمارات فى الدول الصناعية المتقدمة .

ان الانفاق المخصـص للدفاع الوطنى فى دول أوروبا الرئيسية سواء فى ذلك أوروبا الغربية أو الشرقية ، وفى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحـدة الأميركية ، سيبلغ فى القريب العاجل أو حتى سيزيد ـ عن مجموع الدخل القومى فى الدول المتخلفة جميعا .

وسيمثل هذا الانفاق أكثر من عشرين ضعف الاستثمارات التى تمول فى هذه البلاد بوساطة ادخارها الداخلى .

ان الرأسمالية تملك لخوض الحـرب أو الاستعداد لها فائضا هائلا من الطاقة الانتاجية ، فلماذا لا توجه هذه الطاقة برمتها لتنمية الدول المتخلفـة ولتحسين مستوى الانسـانية جمعاء ؟ الجواب على ذلك بسيط :

ان مثل هذه السياسة تعنى العطـاء بدون مقابل ، ونحن نعلم أن محرك الرأسمالية هو الربح ... لهذا ، فان مخـرج الرأسمالية الوحيد هو فى قبولها مختلف أشكال التعاون التى تهدف الى الربح والتى تنظمها التشريعات الدولية .

المساعدات « الودية » لا تكفى

يمنع قانون الربح رءوس الأموال الخاصة من التوظف فى الدول المتخلفة ولهذا فلا يبقى أمام هذه الدول غير الركون الى ادخاراتهم الوطنية أو رءوس الأموال العامة أو الدولية .

دول أميركا اللاتينيــية

يصل معدل الاستثمار فى بعض دول أميركا اللاتينية التى أخذت بسبيل التنمية الى ١٤ ٪ تقريبا بالنسبة للدخل القومى أى أنه يقارب نفس المعدل فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولكن هــذا لايعنى أن المبالغ المخصصة للاســتثمار تبلغ مســتوى مقبولا ، لأن دخل الفرد فى هذه الدول يقل ثلاث مرات عن دخل الفرد فى أوروبا وثمانى مرات عنه فى أميركا الشمالية ... هذا بالاضافة الى أن هذه الاستثمارات تتجــه الى الصناعات التى تدر أكبر قسط من الربح . لا الى الصناعات الأساسية اللازمة للبلاد .

ففى الدول النامية ، تجذب أرباح المضاربة أصحاب رءوس الأموال فمثــلا لايكاد يعلن عن مد طريق حتى تنتقــل ملكية الأراضى المتاخمة من مشتر الى آخر ، وترتفع أسعارها فى كل مرة بنسب خيالية :

٥٠ ــ ١٠٠ ــ ٢٠ ــ ١٠٠٠٪ ٥٠٠ ، وهكــــذا تكون الثروات الضخمة مبتلعة جزءا هاما من الادخارات ، وبالتالى من الاستثمارات الانتاجية .

المجهودات الاوربية فى افريقيا

ويسوء الموقف أكثر وأكثر فى الدول الاقل تقدما .. فلا يبلغ معدل الادخار الا ٥٪ بالنســـبة لدخل قومى يقل عشرات المرات عن مثيله فى أوروبا وثــلاثين مرة ــ على الاقل ــ عنه فى الولايات المتحدة الامريكية .

ولهذا فان معظم الدول لا تســتطيع أن تأخذ بســـبيل التنمية الا اذا جاءتها المعونات أو القروض من الخارج .

وقد وضــعت الدول الاوربية منــذ عام ١٩٤٥ خططــا استثمارية بالنسبة للدول التابعة لها فى افــريقيا وبلغ مجموع الانفــاق الحــكومى فى الفترة ١٩٤٦ / ١٩٥٥ ما يقرب من ٣٫٢٠٦ ميلون دولار موزعة كالآتى :

٥٧٢	مليون	دولار	للمناطق	التابعة	لبلجيكا .
١٥١٠	«	«	«	«	لفرنسا .
٣٤٥	«	«	«	«	للبرتغال .
٧٧٩	«	«	«	«	للملكة المتحدة .

فاذا أضيف الى ذلك المجموع الاستثمارات الخاصــة ، قفز الرقم السابق الى ٧٫٥ مليار دولارا تقريبا ــ أى بمتوسط ٧٥٠ مليون دولارا سنويا . وتظهر ضــآلة هذه الاستثمارات

اذا ما قورنت بعدد سكان هذه المناطق الذى يتعدى ١٠٠ مليون نسمة .

مشروع كولومبو

يخص هذا المشروع بعض دول الشرق الاقصى : بورما كمبوديا — سيلان — الهند — أندونيسيا — لاوس — الملايو بورينو البريطانية — نيبال — باكستان — الفلبين — تايلاند وفيتنام .

وقد بلغت مساعدات استراليا للدول المنضمة للمشروع خلال السنة المالية ١٩٥٤/١٩٥٥ مبلغ ٢٨ر٦ مليون جنيه ، ونصيب كندا ٢٦ر٤ مليون دولار عن السنة ١٩٥٥/١٩٥٦ .

وتقدم نيوزيلاند كل عام مليون جنيه . أما المملكة المتحدة فقد وضعت تحت تصرف دول المشروع ٨٠ ميلون جنيه فى شكل منح وقروض ومساعدات فنية — وأخيرا ، ساهمت الولايات المتحدة بمبلغ ١٦٢ مليون دولار كمعونات وقروض عام ١٩٥٤ وبمبلغ ٣٢٤ مليون دولار فى عام ١٩٥٥ .

أما اليابان التى انضمت الى المشروع فى اكتوبر ١٩٥٤ فقد عرضت ١٣ مليون « ين » للسنة المالية التى تنتهى فى ٣١ مارس ١٩٥٥ — وأخيرا بلغت قروض البنك الدولى للانشاء والتعمير خلال السنة المنتهية فى يونيو ١٩٥٥ ما يقرب من ٥٩ر١ مليون دولار .

تشير هذه الارقام الى أن العبء السنوى الذى يقع على

عاتق دول ــ الكومنولث المتقدمة لمساعدة دول مشروع كولومبو يبلغ ١٤٠ مليون دولار فى شكل منح وقروض .

وساهمت الولايات المتحدة خلال خمس سنوات (يوليو ١٩٥٠ ــ يونيو ١٩٥٥) بما يقرب من ٨٤١ مليون دولار أى ١٧٠ مليون دولار سنويا .

المساعدات المالية الامريكية ، ومساعدة البنك الدولى للانشاء والتعمير .

بلغت المساعدة المالية الامريكية للدول الاجنبية فى الفترة مابين ١٩٥٠ ، ١٩٥٦ كما تحددها النيويورك تايمز .

السنة المالية	مساعدات عسكرية	مساعدات اقتصادية	مساعدات فنية أخرى	المجموع
١٩٥٠	١٣١٤	٣٩٥٤	—	٥٢٦٨
١٩٥١	٥٢٢٢	٢٣٩٩	—	٧٦٢١
١٩٥٢	٥٧٤٤	١٥٤٠	—	٧٢٨١
١٩٥٣	٤٢٢٠	١٢٣٠	٢٧	٦٠٠١
١٩٥٤	٣٢٣٠	٣٠١	٩٨	٤٥٣١
١٩٥٥	٢٤١٩	٤٥١	٦٢	٢٧٨٢
١٩٥٦	٢٠٢١	——	٢٦٤	٢٧٠٠
	٢٤١٧	١١٥٦٦	٤٥١	٣٦١٨٧

وتقل النقطة الرابعة كثيرا فى الاهمية عن المســـاعدات السابقة :

١٣	مليون دلاور للسنة	١٩٥٠/١٩٥١ ،
١٩	« « «	١٩٥١/١٩٥٢ ،
٣٨	« « «	١٩٥٢/١٩٥٣ ،

أما البنك الدولى للانشاء والتعمير ، فقد بلغت قروضه حتى نهاية عام ١٩٥٧ مليار من الدولارات .

النتائج

قد ترضى هذه الأرقام أنانية الدولة الغنية ، ولكن واقع الأمر أن المشكلة ما زالت قائمة ، فقد لوحظ ــ بخصـــوص الولايات المتحدة ــ أن المساعدات العســكرية المباشرة أو غير المباشرة ، تفوق بكثير المساعدات الاقتصادية ، بل ان المساعدات الاقتصادية نفسها تحكمها أغراض عسكرية وسياسية . ولقد فهمت الدول التى تقدم اليها هذه المساعدات حقيــقة الموقف بسرعة ، وأخذ بعضها يساوم بالالتجاء الى المعسكر الشرقى .. وهكذا ، أصبحت المساعدات عنصرا من عناصر الحرب الباردة .

وقد بدأت المنافســة بين الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفيتى فى ميدان مساعدة الدول النامية فساهمت روسيا فى بناء السد العالى ، وحتى الآن انحصر ٩٠٪ تقريبا من القروض السوفيتية فى عددمحدودمن الدول منها العراق ــ أفغانستان ــ

الهند ــ أندونيسيا ــ الجمهورية العربية المتحدة .. كما توجد هناك اتصالات متعددة مع كثير من الدول : تركيا ــ اليمن ــ بورما ــ كمبوديا ــ سيلان .. الخ . وتوافق روسيا على منح قروض طويلة الأجل بسعر فائدة منخفض للغاية ، كما تقبل السداد فى شكل سلع تصديرية كالقطن مثلا .

وقد قدرت المساعدات السوفيتية فى بداية عام ١٩٥٩ بما يقرب من ٢٤٠٠ مليون دولار (قروض ومنح) للدول المتخلفة غير الشيوعية وذلك خلال أربع سنوات ... وفى غمار هذه المنافسة تفقد المساعدات الامريكية ماكان يمكن أن تتخلى به من سخاء غير أنانى . ويظهر هذا الاتجاه بوضوح فى خطاب الرئيس السابق ايزنهاور الذى ألقاه فى ٩ يناير ١٩٥٨ والذى بين فيه أن أول الواجبات هو صيانة سلامة أميركا المهددة بالتوسع الاستعمارى الشيوعى ... ولهذا ، فقد خصصت أميركا ما يزيد على ٢٢٥ مليار دولار منذ الحرب الكورية لتعزيز قواتها العسكرية الدفاعية .. وأصبحت مشكلة الساعة هى زيادة المساعدة للدول الأجنبية لدفعها الى الوقوف ضد الشيوعية .

ان مشروع كولومبو بالرغم من كونه مشروعا اقتصاديا . فهو يهدف الى تقوية نفوذ انجلترا السياسى وكسب ــ أو حفظ أسواق هذه المنطقة .

أما المساعدات الأوربية لافريقيا ، فهى نابعة من رغبة فى

السيطرة الاقتصادية على هذه القارة لتعويض الخسائر التى منيت بها أوروبا فى المناطق الأخرى ، ومحاولة عرقلة التسلل الأميركى فى هذه المناطق النامية .

واذا نظرنا الى المشكلة من الناحية الاقتصادية البحتة ، وجدنا أن المساعدات المعروضة على الدول المتخلفة تعد ضئيلة جدا اذا ما قورنت باحتياجات هذه الدول .. فتقديرات الخبراء المتواضعة ، ترى ضرورة استثمار ١٠ مليارات دولار سنويا . كحد أدنى فى الدول المتخلفة فى الوقت الذى لا تكاد تصل فيه الاستثمارات الحقيقية ثلاثة مليارات فقط .

انهيار الحضارات ، والثورة ضد الغرب

أبرز خبراء الأمم المتحدة الهزات الاجتماعية التى تحدثها بداية التصنيع فى الدول المتخلفة ويمكن تلخيص تحليلهم فى النقاط التالية :

ـ ان التخصص فى العمل والانتاج الضخم للسلع ذات النمط الواحد يقضى على نظام الانتاج العائلى وعلى البيئة التى كان يجد فيها العامل فيما مضى شيئا من الامان النسبى .

ـ كما أن ازدياد رقعة السوق وحركة المبادلات واستخدام النقود ، يهدد بالفناء علاقات المساعدة المتبادلة السائدة فى

المجتمعات العائلية والقبلية .. ويقضى التنافس والشعور بالفردية المتطرفة على روح القرية ، فيصبح الفرد بدون حماية ، كما يفقد قيمه ومفاهيمه ـ القديمة دون أن يجد بديلا عنها .

ـ وتختفى العادات القروية بدورها (الأعياد والأفراح) والتى كانت تعطى للحياة لونا بهيجا وتجعل أفراد المجتمع لا يشعرون بفقرهم وبؤسهم .

ـ ويزيد اختفاء المهن اليدوية ومختلف المهارات الموروثة ، حياة الافراد توترا ، كما يجعلهم يفقدون اعتزازهم بأنفسهم .

ـ وبازدياد الهجرة الى المدن وترك الفأس لبيئتهم الريفية ، يزداد الشعور بالوحدة والنفور من الحياة الاجتماعية غير المألوفة .

ـ يضاف الى كل ذلك ، الآلام النفسية الناتجة من الحياة فى الأكواخ فى ظل ظروف صحية سيئة ومما يشجع على الارتماء فى أحضان الاثم والجريمة .

علاج « سطحى » : تحديد النسل

اقترح كثير من خبراء الغرب تطبيق سياسة تحديد النسل كعلاج لحالة التخلف ، وقد تناسى هؤلاء الكوارث النفسيةالتى تمخضت عن هذه السياسة فى دول العالم الغربى نفسه .

ولقد طبقت هذه السياسة على نطاق واسع ، تحت

الضغط الأميركى ، فى اليابان . وبعد أن كان معدل المواليد يبلغ ٣٤ ألفا عام ١٩٤٧ وأصبح ١٧٫٥ فى عام ١٩٥٧ — ولقد حدث فى عام ١٩٥٣ ما يزيد على مليون حالة اجهاض رسمية .

وقد زاد هذا العدد فيما بعد ، حتى أن أحد الخبراء قدر حالات الاجهاض الحقيقية بما يزيد على ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ حالة فى عام ١٩٥٧ مقابل ١٫٥٠٠٫٠٠٠ حالة ولادة فقط .

ويمكن تلخيص موقف مؤيدى سياسة تحديد النسل كما يلى : —

ان الفرق الكبير بين معدل المواليد ومعدل الوفيات فى معظم المجتمعات المتخلفة يشجع على تخفيض معدلات الخصوبة فى هذه المجتمعات باتباع سياسة مرسومة بدلا من انتظار الأثر البالغ البطء الذى يمكن أن يتمخض عن التطور الاجتماعى ، أو .. زيادة معدل الوفيات . وان الوسائل التى تستخدمها الدول المتقدمة لمنع الحمل يمكن اقلمتها بتكلفة ضئيلة فى الدول المكتظة بالسكان .

ويقدر الخبراء التكاليف المطلوبة لاستعمال هذه الوسائل ١ الى ٥ « سنت » لكل عائلة أسبوعيا .. وهكذا يكون العبء المالى الذى تتحمله الدولة باتباع مثل هذه السياسة أقل بكثير من ذلك الواجب الذى تتحمله لتنفيذ برنامج التنمية والتصنيع .

مرحلة الانتقال الى الثورة

ان تحرك الأفراد السريع المتواصل وانتعاش الاقتصاد العالمى ، وانتشار وسائل الدعاية والنشر ••• ، كل ذلك قضى على « الحدود » الاجتماعية والثقافية ، وأصبحت الدول الصناعية المتقدمة ، مثلا يحتذى لأكثر المجتمعات تخلفا وبدائية فتوحى لها بنمط معين من الحياة لم تكن تتصوره منذ أقل من نصف قرن ••• « ان الفقر قديم قدم الزمن ، ولكن وسائل علاج هذا الفقر تعد من المكتشفات الحديثة » •

من السهل أن يتصور المرء أن المدنية الغربيةقد اصيبت ، نتيجة لما بلغته من تقدم ، بعقدة العظمة ، مما يحملها على عدم تخيل التقدم فى غير اطار مفاهيمها وقيمها •• وبالرغم من ذلك ، فان هـذا لا يبرر أبدا الامتيازات العنصرية التى أحاطت بها الأقليات الأوروبية نفسها فيما وراء البحار •

ان سكان المناطق المستعمرة يمرون بعدة مراحل فى احتكاكهم بالأوروبيين المستعمرين :

ففى المرحلة الاولى ، يقفون ولو ظاهريا موقفا سلبيا ••• فى انتظار الأحداث ، فلم يخلق الظلم بعد فى نفوسهم روح الثورة ••• ويجدون فى المعتقدات وأساليب الحياة الجديدة وسيلة للهروب من تعنت التقاليد ويشعرون بالتحرر الوقتى باشتغالهم فى المدينة بين جدران المؤسسات ــ الصناعية •

ولكن فى خلال الفترة التالية ، تعصف فنون العالم الحديث

بالمجتمع المستعمر الذى ينتقل فى سنوات معــدودات الى عصر الكهرباء والطائرة ويحل فراغ كبير محل المعتقدات القديمة .. وتتكون فى المدن الوليدة طبقة البروليتاريا المتخلفةاليائسة التى تجتاحها تدريجا روح الثورة تلك الروح التى تجســـدت فى « باندونج » بقوة وحدة لم تكن متوقعة .. وفى محــاولات اعادة خلق الوحدة الاســـلامية .. وفى حركات التحرر التى تجتــاح الدول الخاضـــعة للاستعمار ، والمطـــالبة بالحرية والاستقلال .. وفى الهيكل التنظيمى للأمم المتحدة الذى ظهر عجزه أمام العيان .. و فى التنافس بين الاتحاد الســـوفيتى والولايات المتحدة الاميريكية فى تقديم الاسلحة وبناء المصــانع واقامة السدود .. وفى المدنية جمعاء المهددة بأشد الأخطار .

وتثير السيطرة الاقتصادية الأميركية بدورها أعنف الآثار وأسوأها فى العالم المتخلف :

يقول «ماما دوصينا» فى مؤلفه : « خواطر فى اقتصاديات افريقيا السوداء » ان رءوس الامــوال الاميركية على خــلاف أهداف النقطة الرابعة تكاد تستغل برمتها لا فى الدول الزراعية فحسب ، بل فى تلك التى تخفى أراضيها مختلف المعادنكنحاس روديســيا ، ومنجنيز ساحل الذهب وذهب ليبريا وسيراليون ؛ ومختلف الخامات المعدنية بأفريقيا الوسطى . ان مثل هــــذه السياسة تؤدى توا الى لون من ألوان الاستعمار أشد خطورة من ذلك الذى تدعى أميركا محاربته منذ بداية هذا القرن ...

وقد فهمت بعض الدول الافريقية هذه الأوضاع على حقيقتها ووقف قادتها من الاستثمارات الاميريكية موقف العداء ، مثل الدكتور « نكروما » مثلا ..

خاتمة

ان تأخر الدول المتقدمة فى تفهم موقف العالم المتخلف يرجع الى عدة أسباب :

أهم هذه الأسباب ذلك العيب الذى يسمى عادة بالبخل والذى سيطر على الاستعمار فى مراحله الأولى سيطرة كبيرة ، وعلى الاستعمار الجديد سيطرة كاملة .. ، فالغرب يفنى نفسه اليوم فى تطبيق سياسة الماضى نفسها ، فبدل أن يضع نفسه — بعد تفكير سليم — أمام الموقف المخيف التى تتردى فيه اليوم الانسانية جمعاء ، ويحاول حل مختلف المشاكل التى أدت الى هذا الموقف ، نراه يفضل السياسة القصيرة النظر والتى تهدف الى الكسب الوقتى ، كسبه هو على حساب الانسانية نفسها ... ان الغرب اليوم أسير لبخله ، ولهذا فهو يتمسك بكل ما أوتى من قوة بالنظام الاقتصادى الذى أوصله الى هذه الدرجة من الثراء ولكن بعد عزله تماما عن ثقة وصداقة العالم المتخلف ... ، لقد توصل الغرب الى مضاعفة دخله مرة .. ومرتين .. وثلاث مرات بالنسبة لبقية العالم حيث مستوى المعيشة ثابت أو حتى فى تراجع مستمر ... الامر الذى يناقض

تماما منطق النظام الاقتصــادى الذى يحكمهم ولكن هـــذه الهبات .. اننا نراه أحيانا يقدم المســـاعدات والهبات وتلك المساعدات قليلة وغير مجدية .. بل ومشروطة .. انها بمثابة المخدر لضمائرهم .. ان الغرب يقول للعالم المتخلف : افعل مثلنا .. ! من غير أن يفكر أن هذا امر مســـتحيل .. انه لم يفهم بعـد حقيقة حلقة البؤس المفـزعة التى يعيش فيها العالم المتخلف حيث السكان فقراء لانهم لاينتجون الا القليـل ... لانهم معـدمون ولايملكون الوســائل التى تمكنهم من زيادة الانتاج .. ان الغرب لايدرك أن صلته بالعـالم أجمع لايمكن فصمها ، فبدون الطاقة والمواد الأولية التى يجـدها لدى الدول الفقيرة يصبح تقدمه مستحيلا .. انه يدهش من روح العـداء وعدم الفهم التى يكنها له العالم المتخلف فى الوقت الذى يقضى هو فيه على القيم والمفاهيم التقليدية الروحية التى هى أسـاس العلاقات البشرية .

الفصل الثانى

من أجل تحقـــيق التنمية المتوازنة

ان رجال العالم الغربى والكتلة الشيوعية وباندونج .. هؤلاء الذين يقع على عاتقهم بطريقة أو بأخرى عبء ومسئولية الحكم ، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو العمالية أو الثقافية والروحية فى العالم ، ليس من حقهم أن يجهلوا الى أى مصير تردى العالم اليوم ، ولا أن يعملوا كل فى ميدانه على حل مشكلاته ومعالجة أمراضـــه .. ان سلبيتهم ســـــواء فى التفكير أو فى العمل تعد ضربا من ضروب الجريمة .. فحينما تكون الانسانية مهددة بمثل هذه الأخطار ، يصبح من الضرورى أن يعاقب كل احجام أو تقصير .. ولنلخص أهم النـــقاط التى توصلنا اليها فى دراستنا :

١ ــ سيزيد عدد سكان العالم عن خمسة مليارات نسمة عام ٢٠٠٠

٢ ــ ثلاثة أرباع الجنس البشرى يعـــانون من ســـــوء التغذية .

٣ ــ ان مشكلة الانسانية الأولى هى زيادة الانتـــاج الزراعى زيادة كبيرة لمواجهة حاجيات الشعوب المتخلفة والزيادة المتوقعة فى عدد السكان .

٤ ــ يرتفع مستوى المعيشة فى المجتمعات المتقدمة بمعدل ٢ ــ ٣٪ سنويا بعكس الحال فى المجتمعات الفقيرة حيث نجده ثابتا أو يميل الى الانخفاض ... وهكذا تزداد الهــوة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة كل يوم اتساعا .

٥ ــ ان قروض وهبات الدول المتقدمة ضـئيلة لا تكاد تذكر حتى لتوفير مستوى غذائى مقبول فى الدول المتخلفة .

٦ ــ بانتشار المعرفة والثقافة فى الدول المتخلفة ، أخـذ أهلها يدركون حقيقة موقفهم ، فتزداد سورة غضبهم ضد الدول المتقدمة كما أن ازدياد عدد السكان فى المجتمعات النامية يجعل ميزان القوى يميل الى صالحهم .

٧ ــ ان الفقر ــ وخاصة الاحساس بالفقر ــ يمـهد السبيل الى التغلغل الشيوعى فى الدول المتخلفة .

٨ــ ان قادة الغرب ومفكريه لا يدركون ــ حتى الآن ــ أن الماضى قد أندثر ، وانه يجب بالتـالى التخلى عن المفاهيم والأساليب القديمة .

٩ ــ ان العالم يتحد علميا وفنيا فتتداعى أركان المدنيات القديمة .. ولكننا لا نرى بوادر مدنية جديدة على مستوى العالم .

١٠ ــ خطر التخريب الذاتى الذى يهدد العالم بسـبب الأسلحة الذرية .

أمام هذه الحقائق ، تكثر أمامنا علامات الاستفهام ...
الى أى حد يمكن للدول المتخلفة أن تستغل مواردها الطبيعية والبشرية ؟ ... ماهى المساعدات التى يمكن أن تقدمها الدول المتقدمة ؟ ... ما هو نوع العلاقات الذى يمكن أن يربط الدول التى تتمتع بمستويات تنمية مختلفة .. ؟

هل بزوغ شمس مدنية جديدة أمر ممكن .. ؟

هذه هى الأسئلة المختلفة التى سنحاول أن نجيب عليها فى الفصول التالية :

التقدم الاقتصادى أمر ممكن

بدأ الخبراء منذ عدة سنوات مضت دراسة مشكلةالتنمية فى الدول المتخلفة ، وجاءت نتيجة أبحاثهم تشير الى الامكانيات الضخمة التى يمكن استغلالها لتحسين الأوضاع الحاضرة تحسينا كبيرا .

ثلاثة أمثلة لها معناها :

أول هذه الأمثلة هو تجفيف مستنقعات « بولتان » فى ايطاليا واصلاح أراضيها لاستغلالها فى الزراعة ــ ان هذا المشروع لم ينته بعد وهو يهدف الى استغلال مساحات شاسعة من الأراضى حيث الحياة فيها كانت ولا تزال ــ مستحيلة بسبب تفشى وباء الملاريا . والعمل جار الآن للقضاء على هذه

المستنقعات وحفر ما يزيد على ٢٠٠٠ كم من القنوات والترع وتمهيد ٦٠٠ كم٢ من الطرق وتشييد عدد كبير من محطات الطلمبات ، وقد أعقب تحسين وسائل الرى بالرش تحويل مساحة واسعة من هذه المنطقة من أراض قاحلة الى أراض منتجة ذات كثافة سكانية مرتفعة .

والمثال الثانى : هو تجربة « الفازندا هولامبرا » بولاية ساو باولو بالبرازيل . وتتلخص هذه التجربة ــ التى تمت بنجاح كبير عام ١٩٤٧ باستصلاح ٥٠٠٠ هكتار بواسطة مجموعة من الأسر الهولاندية فى بقعة قحلاء ، كان الرأى الشائع أنها لا تصلح للاستغلال ... أما اليوم ، فقد ازدهرت فيها مختلف الزراعات وتألقت الأبقار الهولندية التى بلغ متوسط انتاجها فى اليوم ما يزيد على عشرة أرطال من اللبن ــ وأصبحت المشكلة هى تصريف مختلف المحاصيل التى تنقلها السيارات الضخمة على مدار السنة الى ساو باولو .

والمثال الثالث والأخير هو تجربة « فومبيك » بكولومبيا و« فوميك » هذه مقاطعة جبلية تقع بين « بوجوتا » وسهل « ارينوك » ، ويرجع الفضل فى استغلال هذه المنطقة الى القس « جوتيريز » الذى بدأ عمله الكبير بدراسة السكان ميولهم .. آمالهم .. حاجياتهم .. آلامهم .. طاقاتهم الخ .. وقد تابع دراسة أسرة بعد أسرة ، وتوصل الى ضرورة بناء ما هو انسانى وروحى ومادى فى الوقت نفسه .. أى بناء روح

التعاون .. واستطاع القس بعمله المتواصل تحويل الفــلاحين الأميين الى قوم يعرفون القراءة والكتابة ، ومن عمال روتينيين كسالى الى مزارعين نشطين يحسبون لكل شيء حسابه : التربة .. المناخ .. ومطالب الســوق . وقد استطاع القس منــــذ اجتماعاته الاولى أن يجذب اليه ، ببعده عن جميع التــيارات السياسية أو الميول الاديولوجية ، جماعة المثقفــين وسرعان ما تكونت حركة تعاونية من رؤساء العائلات انضم اليــها ٦٠٠٠ مساهم برأس مال قدره ١٠٫٠٠٠ بيزوس ، أمكن بفضلها شراء قطعة أرض لتكون مزرعة نموذجية .

ولم تكد تمر سنوات معدودات حتى تبدلت معالم الحياة الريفية فى هذه المنطقة تبدلا جذريا فزاد الانتــــاج الزراعى والحيوانى ، وراح أهل المنطقة يمارسون جميع ألوان الرياضة الحديثة وأدخلت الوسائل الصحية من كهرباء وماء جار .. الخ فى أكثر من ٨٠٪ من منازل المقاطعة ، كما شيدت مدينة عمالية حديثة وقضى تماما على الأمراض الاجتــــماعية كالادمان على الخمر .

تشير هذه التجارب الى أنه اذا ما أحسن استغلال التربة فانه يمكن أن تسد حاجيات العدد المتزايد من سكان العالم فى حالة ما اذا أمكن تطبيق الوسائل العلمية والفنية الحديثة .

فتجفيف واستصلاح مستنقعات « البونتان » فى ايطاليا

قد كلف الدولة مليارات من الليرات ، كما أن استيطان كل عائلة في « هولامبرا » تكلف ما يزيد على ثلاثة ملايين فرنك فرنسى (٣٠٠٠ جم) أما « فوميك » فتمثل مجهودات أناس فقراء ، يرشدهم قائد فريد استطاع أن يغرس في نفوسهم روح التعاون والعمل . لقد أصبح الطفل فى تلك المقاطعة لا يبلغ الرابعة عشرة حتى يجد نفسه مالكا لقطعة صغيرة من الأرض متحملا مسئولية ادارتها واستغلالها .. وهكذا أصبحت المقاطعة « مصنعا » لتخريج الرجال القادرين على استغلال أراضيهم والأراضى الواقعة فى المناطق الأخرى ــ ولقد قدرت السلطات المسئولة هذه المجهودات وارتبطت بعقد مع المؤسسات التعاونية لاستصلاح ٣٥٠٫٠٠٠ هكتار من الأراضى فى المقاطعة القريبة من « ميتا » .

الصعوبات التى تعترض النجاح

لا يجب أن تدفعنا هذه الأمثلة الى الاعتقاد بأن عوامل النجاح متوافرة فى كل مكان .

ان القس « جوتبريز » نفسه فشل فى محاولاته الأولى فى غير مقاطعة ، وعلل ذلك الفشل بأن : « السكان هناك لم يكونوا بعد على استعداد ! » .

ان الكلام عن طاقة الأرض الكلية لتغذية وكساء سكان العالم أجمع ليس بمنطقى ولا يعنى الشىء الكثير ، فالناس

متوطنون فى بقاع معينة والهجرة الانسانية التى من شأنها اعادة توزيع الأرض لتحقيق مستوى معيشى واحد للجميع تعـــد ضربا من ضروب الخيال .

ان سكان الهند يتزايدون بمعدل ٤ ملايين نسمة سنويا .

وفى اليابان يتزايد السكان بما لايقل عن مليون نسمة .

ان هجرة ١/١٠ من هذا الفائض البشرى يتطلب أموالا ضخمة .. ولقد قدرت « اللجنة الدولية للهجرة الأوربية » بما يقرب من ١٣٫٠٠٠ دولار تكلفة استيطان عائلة أوروبية واحدة فى الولايات المتحدة .

ان ذلك يعنى أن استيطان ٢٥٫٠٠٠ عائلة هندية فيما وراء البحار يتكلف أكثر من مليار دولار ثم ... الى أى البلاد يتجه هؤلاء المهاجرون ؟

يجب اذن العدول عن هذا الحل السرابى .

التقدم الاقتصادى الحقيقى

من الضرورى أن نفرق بين التقدم الاقتصادى السليم أى ذى النزعة الانسانية الأصيلة ، والتقدم الاقتصادى المنحرف أى الذى لايتحلى بمثل هذه النزعة .

ان التقدم الذى يقاس بزيادة الدخل الفـــردى يمكن أن يحجب زيادة ثراء الأغنياء وزيادة فقر الفقراء ، وهذا لا يمكن أن يسمى تقدما أو تنمية .

فالمقصود بالتقدم هو ارتفاع مستوى المعيشة للقاعدة الشعبية لا لفئة معينة ... الارتفاع بكل انسان ، وبكل شىء فى هذا الانسان .

ويجب أن ننوه مرة أخرى الى ان الحديث عن حاجيات الانسانية جمعاء لا يكاد يعنى شيئا :

لكل شعب من الشعوب يستوطن بقعة معينة يجب أن يجد طريقته الخاصة به للتقدم الجماعى ، لأن الدول المتخلفة اذا حاولت تطبيق وسائل الغرب ، فهى لابد فاقدة حبها للحياة ، ولا بد أن تتردى فى غياهب اليأس .

يجب اذن على الخبراء ــ عند تقدير موارد العالم ومقدار كفايتها لاشباع حاجيات الانسانية ــ ألا يكتفوا بالأرقام الاحصائية الاجمالية ، بل يجب النظر الى هذه الانسانية شعبا شعبا ، وبقعة بقعة . فلكل بلد مشكلاته الخاصة .

فحالة مصر التى تعيش على شريط رفيع على حافتى النيل ، تختلف عن حالة افريقيا السوداء بقبائلها المختلفة التى تعيش على أرض قاحلة .

وعن حالة شيلى التى تكاد تخنقها الصحراء وتستغل معادنها القوة الاقتصادية الأجنبية .

وعن حالة العراق التى تستطيع بتحسين وسائلها فى الرى

وباستغلال عوائد البترول ، أن تكسب الأراضى الزراعية من الصحراء . وعن حالة العربية السعودية الغنية بدورها لعوائد البترول والتى لا تملك غير أراض عسيرة الاستغلال وعن حالة كولومبيا التى تملك الكثير من الموارد البكر .
والبرازيل التى يساوى حجمها حجم القارة الاوربية والتى تغطيها غابات الأمازون الغامضة .

ليست المشكلة اذن ــ هى توحيد العالم ، بل تحويل امكانيات كل بلد أو كل بقعة جغرافية الى حقائق على مراحل متتالية وبسرعة معقولة .

ولكن ، سيبقى على الرغم من ذلك ، حالات مستعصية أو حتى ميئوس منها لا ينفع فيها الا المساعدات غير المشروطة من قبل الدول الغنية .

* * *

ان الحقيقة الواقعة هى أن التنمية لازمة فى كل مكان ، وممكنة ولكنها تحتم تعاونا وثيقا بين الشعوب الفقيرة والشعوب الغنية .

التعاون الدولى ضرورى

نحن نعرف النظرية التقليدية للعلاقات بين المستعمرة والمستعمرين فدور المستعمرة كان ينحصر فى كونها سوقا لاستيعاب السلع الصناعية ، وبالتالى كان محرما عليها أية

صناعة حتى ولو كانت صناعة تحويلية • كما أن قطاعها الزراعي كان يستغل لانتاج المحصولات اللازمة للدولة المستعمرة • وقد كان استغلالها اذن غير منطقي لأنه استغلال رأسمالي يهدف الى تكديس الأرباح السريعة باحتكاره تجارة أو انتاج عدد من المواد الاولية الزراعية التى يرتكز عليها اقتصاد الدول المتخلفة •

ان الدول المتقدمة تقدر حقيقة التخلف على طريقتها الخاصة بالنسبة لأهدافها التوسعية : فهى ترى فى الدول المتخلفة امكانيات للوصول الى موارد لم تستغل بعد لازمة لصناعاتها ، وهى تبرر ضغطها الاقتصادى ثم السياسى بتأكيدها ما نسميه « بركود » هذه المجتمعات المتأخرة •

ان هذه النظرة الى العالم المتخلف كانت تنطبق على عصر الاستعمار القديم وهى ما زالت صحيحة بالنسبة للاستعمار المقنع الذى تتبعه بعض الدول الكبرى اليوم وخاصة الولايات المتحدة ••• ، ولكن ألم تخرج أمريكا على العالم بالنقطة الرابعة ؟ ••• ألم يصرح رئيس الولايات الامريكية فى ٢٠ يناير ١٩٤٩ بأنه من واجب « الشعب الأميركى أن يبذل جهدا أكبر كى ينتج كميات أكبر من المحاصيل الزراعية ومواد أولية اكثر لانشاء المبانى ، وطاقة أكثر لتخفيف أعباء المجتمعات المتخلفة ؟ »

ولكن هذه النظرة كانت تعارض تماما مبادىء الرأسمالية المحدودة ولم تعط برامج النقطة الرابعة الثمار المرجوة لأن

الكـــونجرس الأميركي رفض أن يعطي ضـــمان الحكومة للاستثمارات الخاصة التي كانت ترغب في توجيهها الى الدول المتخلفة .

وشعر الأميركيون بالدهشة لأن مساعداتهم كانت تقـابل بالحقد في كل مكان ، وسبب ذلك أن هذه المساعدات خلقت لونا جديدا من ألوان الاستعمار أشد مرارة من سلفه ، فلقد أدركت الشعوب التي نالت هذه الاعانات أنها لم تحصل عليها لمجرد الاعانة ، بل لكي تحقق أميركا أهدافها باقامة قواعـــد استراتيجية وانتاج المواد الاولية اللازمة لصـناعات الولايات المتحدة أو لنيل الأرباح السخية .

وشعرت الشعوب أنها تستغل وتهان عن طريق هـــذه المساعدات كما كانت تستغل وتهان على أيدي المســتعمرين السابقين ، انه لا ينظر اليهم كمجموعة من البشر ، بل كمجموعة من الوسائل التي توفر الثراء وتضمن الامان لاميركا الشمالية ، وراح السلوك الأميركي يتسم بمرور الزمن بالنزعة الأمبريالية ، وتتناول بالتالي حرية « العالم الحر » .

لقد شاءت الأقدار أن تكون الولايات المتحدة على رأس لدول المعادية للسيطرة الشيوعية ... ولكن من المؤسف أن تعمل أميركا (دون أن تدرك) على اهانة القيمة الانسانية ، ولذا يتحتم عليها أن تغير من مفاهيمها الاقتصادية .

ان التحليل الاقتصادى يشير الى امكانيات التعـاون بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ، وهذا التعـاون ليس ممكنا فقط . بل هو ضرورى أيضا . انه المشكلة الأساسية لهـذا العصر .

ان خبراء الأمم المتحدة يؤكدون أن مسـاعدات الدول الصناعية للعالم المتخلف يمكن أن تصل من غير أى مقـياس جوهرى بمستواها المعيشى الحالى الى ما يقرب من ١٣ مليار دولار فى العام على شكل هبات وقروض واستثمارات .

هذا ، واذا أجمعت كل من الولايات الأميركية وكنداودول غرب أوروبا على مساعدة العالم المتخلف أمكنها ، اذا ماخصصت ٢٪ فقط من دخلها القومى الاجمـالى الذى يزيد على ٣٥٠ مليار من الدولارات اتاحة ٨ مليار دولار لهذا الغرض ... أما اذا خصصت ٧٪ من دخلها ، فيكون المبلغ المتاح مساويا لـ ٢٥ مليار دولار ... ان هذا الافتراض لا يخرج عن حدود المعقول فالمملكة المتحدة استثمرت فى الخارج ٧٪ من دخلها القـومى طوال الفترة من ١٩٠٥ ــ ١٩١٣ ، أما الولايات المتحدة فتخصص سنويا ٣٪ من دخلها للهبات والقروض للعالم الخارجى .

لكن ذلك وحده لا يكفى .. لأنه يجب أن تتغير الأهداف السياسية نفسها ، فيحل محل هدف « التسـليح » هـدف « التنمية » ... ان كبرى متناقضات العصر تظهر للعيان عند

مقارنة الأموال المخصصة للاستعداد لحرب عالمية متوقعة والأموال المستغلة فى ميادين التنمية .

تشير الاحصائيات أن الانفاق على التسليح فى عام ١٩٥٧/١٩٥٨ كان يمثل :

- ١٠ر٢ ٪ من الانتاج الاجمالى فى الولايات المتحدة الأميركية .
- ٧ر٣ ٪ من الانتاج الاجمالى فى بريطانيا العظمى .
- ٨ر١ ٪ من الانتاج الاجمالى فى فرنسا .
- ١٥ر٥ ٪ من الانتاج الاجمالى فى الاتحاد السوفييتى .

وليس من المبالغة فى شىء أن تقدر بمائة مليار دولار قيمة الانفاق السنوى على ما اصطلح بتسميته « أغراض الدفاع » فى العالم .. ، ففرنسا تنفق سنويا — باستثناء حربها فى الجزائر ما يزيد على ٣ مليار دولار أما بريطانيا فيزيد انفاقها على ٤ مليار دولار ، كما يجب أن ندخل فى حسابنا نفاق الدول التى تجمعها أحلاف عسكرية سواء فى الغرب أو فى الشرق ، بوسائلها الخاصة وبمفردها دون أن تبدل من طرق تفكيرها .. ثم انفاق الدول المحايدة .

ولكن جنون هذا العالم الذى يفنى نفسه للتأهب للحرب يمكن أن يخفى « أملا كبيرا » فالتسليح يكشف عن مقدار التضحية التى يمكن أن تتحملها الشعوب اذا ما دعت الضرورة ... ان هدف الانفاق — وليس الانفاق نفسه — هو الذى

يجب أن يتغير ... ولكن هذا « الأمل الكبير » لا يمكن أن يتحقق الا اذا تيقظ ضمير رجال هذا العصر . فهناك كثير من الآراء تثير المخاوف ، كتلك التي نشرها مثلا « بيير جاكسوت » في صحيفة « الفيجارو » في شهر اكتوبر ١٩٥٦ : « كثيرا ما يحثوننا على مساعدة الدول المتخلفة برءوس الأموال والمؤلفات والفنيين ... اننا لم نفعل غير هذا منذ عدة قرون ... وقد فقدنا أموالنا وأصبح من نساعدهم من الد اعدائنا ... وهذا امر طبيعي : لأن الاعتراف بالجميل من أشق الأمور على نفوس البشر ... فلندع الشعوب المتأخرة لشـأنها ... تنمو فتقوم بوسائلها الخاصة وبمفردها دون أن تبدل من طرق تفكيرها ...

هل ما أقوله فظيعا أو قاسيا ؟ من الجـائز ... ولكن التاريخ نفسه ملىء بالفظائع ! .

فحينما كنت تلميذا بالمدرسـة الابتدائية كانوا يجبروننى على أن أدفع « مليما » كل أسبوع لانقاذ الأطفال الصينيين من المجاعة .. هل أنقذت بهذا بعض الأطفال الصينيين ؟ أرجو ألا أكون قـد فعلت لانني حين تقدمت بى السنون رأيت هـؤلاء الصينيين الصغار يقتلون الفرنسيين في ديان ــ بيان ــ فوا ! .

ليس هناك من شك في أن فلسفة السيد « جاكسوت » فلسفة قصيرة النظر ، حتى حينـما نظر اليها من وجهة النظر المادية البحتـة ، فمن المؤكد أن السيد جاكسـوت لم يتأمل

الارقام التى تترجم مقدار اعتماد الدول المتقدمة على الدول « المتأخرة » لسد حاجاتها من المواد الأولية ومنتجات الوقود ولتصريف سلعها المصنعة .

لقد أصبح من الواضح أن الغرب يسير فى طريق الفناء باستمراره فى اتباع وسائله وسياساته القديمة ـ فقد برهنت الحروب الداخلية على قدرة الدول الغربية على الغزو والاحتلال كما أثبتت تجارب الأمريكيين فى كوبا والفرنسيين فى فيتنام وغيرها عن عجز هذه الدول على اخضاع الشعوب فى اثبات وجودها .

ان الغرب لايتمكن من الدفاع عن نفسه الا اذا تخلى عن سياسة الأنانية والعمل لمصالحه الخاصة .(ان الضرورة تقضى بتفجير ثورة كاملة ... ثورة اقتصادية وسياسية ، ولكنها كى تنجح يجب أن تعتمد على أسس روحية .. تضع الجميع فى مرتبة واحدة لما للجميع من قيم وامكانيات انسانية ومادية .

هل سيستطيع الغرب ـ فى الوقت المناسب ـ تغيير سياسته ومفاهيمه وصبغها بالصبغة الروحية الانسانية ؟ .

أما عن العالم السوفييتى فهو بالرغم من دعاياته فى سبيل السلام فهو مذنب كالولايات المتحدة الأمريكية لأنه مسئول عن السباق الى التسلح مثلها .

أما ميزته الكبرى تكمن فى أن المبدأ الماركسى الذى

يدعى تطبيقه ، يتميز بصبغة عالمية ويهدف الى تحرير طبقة العمال فى العالم أجمع من الاستغلال الرأسمالى وتحرير الشعوب من نير الاستعمار ... ولكن واقع الأمر أن هناك « أطفالا » سذجا يتشاحنون ، وبالقرب منهم بركان ثائر يهددهم بالهلاك .. شعوب غنية فى العالم الشرقى والغربى تلهو فى وقت تهددها فيه الحروب الذرية أو الثورات الدامية فى كثير من بقاع العالم .

* * *

الفصل الثالث

— ١٧

المدينة الجديدة وميزان القوى

ان مشكلة العالم اليوم هى مشكلة ايجاد مدنية جديدة .

لقد أثبت العقل البشرى مقدرته فى ميادين الرياضة والطبيعة والكيمياء ... الخ .. فهل يمكنك الآن الجمع بين علوم المادة وعلوم الاجتماع لخلق مفاهيم جديدة يمكن بوساطتها توجيه عوامل التنمية والتقدم فى العالم أجمع ، مع التحكم فيها ؟ .

عدم النضج الأمريكى :

يشرح عالم الاجتماع الأمريكى «بيرت . ف . هوسليتز» العوامل التى منعت أمريكا حتى الآن من بلوغ مرحلة النضوج اللازمة للقيام بالأعباء التى ألقاها التاريخ على كاهلها :

ان مذهب « البريتانيزم » الذى عاصر مولد الولايات المتحدة الأمريكية راح يتلاشى تدريجيا ، وحل النجاح المادى محل العمل كقيمة أساسية من قيم الحياة ، وأصبحت النقود هى مقياس كل شىء .

ان من شأن هذه الأوضاع تضخيم قيمة كل ماهو مادى

وملموس فى الحضـارة الانسانية ألا يعمـد الأمريكيون الى الاهتمام بضخامة حجم مدارسهم ومعاهدهم أكثر من اهتمامهم بالمواد التى تدرس بهذه المدارس والمعاهد .

ان الكثير من المفكرين الغربيين يحسون فى خضم هـذه الأزمة السياسية الحالية حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها على رأس الدول المعادية للمعسـكر الشرقى ، ضرورة ايجـاد مذهب يمكن أن يسبق الايديولوجية الشـيوعية على المسرح الدولى ... ويرى البعض أسس هـذا المذهب فى النظـام الرأسمالى الأمريكى بسبب النجاح الذى حققه فى مختلف ميادين الانتاج المادى .. ولكن الواقع أن هذا النجاح الذى يشيرون اليه يرجع أساسا الى عدة عوامل تاريخية ، ولهذا فلا يجب أن ندهش اذ نرى عـددا من الدول ترفض قبول الأيديولوجيـة الاميركية لسبب رئيسى وهو أن نظرية الرأسمالية فى الولايات المتحدة تضع نجاح الفرد ــ « المادى » فى المقـام الأول ... وهى لهذا لايمكن أن تجذب اليها شعوب آسيا وافريقيا الذين لازالوا يجمعون بين نجاح الجنس الابيض المادى والاستغلال الاستعمارى .

تظهر لنا الكلمات التالية التى قالها مسئول من احـدى دول جنوب شرق آسيا لاحد الخبراء الامريكيين مقدار الهوة التى تفصل حضارة أمريكا المادية عن قيم ومفـاهيم غيرها من الشعوب ، قال المسئول معلقا على برامج النقطة الرابعة : لقد

طلبنا منكم الأمل ••• والفهم •• والحب والاخاء ، ولكنكم لم تعطونا غير النقود والتكنولوجيا ! ••• هل هذه هي الأشياء التى بنت أسس العظمة فى بلادكم ؟! ••• ان الولايات المتحدة لم تحظ بعد بتراث ثقافى وروحى أصيل يساعدها على تفهم حقيقة الانسانية وجوهرها ••• وبالرغم من حسن نياتها ، فانها لاتتمتع بسعة الأفق وعمق التفكير اللازمين لدولة تتزعم العالم الغربى •

ان الامريكيين يشعرون بدرجة كبيرة بالاخطار التى يمكن أن تهدد الانسانية بسيادة الشيوعية ،ولكنه يمكننا أن تتساءل بحق : ألا يخلق موقفهم الجامد السطحى أسبابا جديدة تقوى من عضد عدوهم »

ان حدة التوتر بين الكتلتين الشرقية والغربية ترجع الى حد ما الى قصر نظرهم وعدم تفهمهم لكثير من الأوضاع فى العالم •• فالولايات المتحدة عندما تضغط على الغرب ليكرس جهوده « لأغراض الدفاع » بدلا من تكريسها لأغراض التنمية ومحاربة الجوع ، تقوى من غيرشك حصون دفاع عدوها ••• !

— ١٨ —

الماركسية •••• حل وهمى !

ان الولايات المتحدة ــ كما رأينا ــ ليست من النضج

بحيث يمكنها تشـــــيد مدينة جديدة مدعمـــة بروح الاخاء والتعـــاون ••• فماهو موقف الماركســـية ؟ هل فى امكانها أن تنقذ كل رجل والانسانية جمعاء •• ؟ • هنا أيضـــا يجب أن نجيب بالنفى ••• وهذا مما يزيد من مأساة العصر :

فالنزعة الانســـــانية الماركســـية يعيبها طابع الالحـــاد الميتافيزيقى ••• لقد نجحت الماركسية فى تنمية بلد كروسيا ، ولكنها فاشلة من غير شك فىخلق مدنية انسانية أصيلة • لأنها تجهل تماما « كل مايوجد فى الانسان » •

الماركسية كوسيلة للتنمية الاقتصادية :

لقد تنبـــأ ماركس بثورة عالميـــة ••• كان يعتقـــد أن البروليتاريا العالمية ستحل محـــــل الرأسمالية العالمية •• لأن البروليتاريا فى رأيه لا بد أن تسيطر على المقدرات الاقتصادية والسياسية ولكن الحقيقة جاءت مغايرة لتنبؤات ماركس ، فلم تنشب الثورة البروليتارية فى غير دولة واحـــدة لم تبلغ بعـــد مرحلة التصنيع . ولقد اعتقد «لينين» أن العدوى الثورية لابد وأن تنفشى فىالدول الصناعية المتقدمة وللمرة الثانية لم تتحقق هذه التنبؤات •• ووجدت الشـــيوعية نفسها فى حدود دولة واحـــدة ، ولكنها تهـــدف قبـــل كل شىء وفوق كل شىء الى السيادة والسيطرة ••• ومن هنا تنشأ مأساة جديدة !

لقد استطاعت الشيوعية الروسية بمهارتها ودبلوماســـيتها

نشر ألويتها على أوروبا الشرقية ثم الصين وكوريا الشمالية وفيتنام ، وهى تستعد لضم أجزاء أخرى من جنوب شرق آسيا .

وبدأت المرحلة الأولى من مراحل تطبيق النظام الشيوعى باستيلاء العمال على وسائل الانتاج ، وبتخفيض جميع الأجور الى مستوى أجور العمال وقد عاصرت هذه المرحلة أزمة اقتصادية عنيفة وضعت الثورة فى مركز ميئوس منه . واضطر المسئولون الى التراجع وتطبيق ماسموه بالسياسة الاقتصادية الجديدة .. فوضع حدا للتجربة الأولى ، وأبقى الى حد ما على الملكية الفردية لوسائل الانتاج وعلى التجارة الحرة . ولم تكن هذه البداية غير مرحلة انتقالية ، فما كاد ستالين يصل الى الحكم حتى انتقل بالاقتصاد الروسى الى مرحلته النهائية ... مرحلة التخطيط الكامل .

ونشأ عن التخطيط ، اقتصاد من غير سوق حقيقية على الرغم من تأكيدات الاقتصاديين التقليديين باستحالة ذلك ... ولهذه الحقيقة آثارها البالغة فلقد تلاشت أو كادت تتلاشى الملكية الفردية لوسائل الانتاج فيما عدا بعض الحرف اليدوية . أو قطعة الأرض الصغيرة التى تحيط بمنزل أسرة المزارع .

ولكن ، يجب أن نقرر أن روسيا كانت تتمتع بمركز ممتاز بالنسبة للتنمية ، فهى تملك مساحة شاسعة غنية بمختلف الامكانيات ... ويتمتع المسئولون هناك بالحرية التامة فى تقدير معدلات « فائض القيمة » التى يستقطعونها من جملة

الانتاج ... فالدولة حرة فى استقطاع ماتشاء من عائد العمل وهى كذلك حرة فى توزيع ماتستقطعه على مختلف قطاعات الاستثمار : قطاعات المنافع العامة ــ الصناعات الثقيلة ــ الصناعات التحويلية .. الخدمات ... الخ .. وتشير جميع الدلائل على أن معدل « فائض القيمة الذى يستقطع فى روسيا يفوق كثيرا مثيله فى أية دولة رأسمالية .

كذلك نجد أن الدولة هى الحكم الوحيد فى اختيار الأمكنة المناسبة لانشاء الصناعات الجديدة ، وغالبا مايكون ذلك حيث تتركز الكثير من الامكانيات : الطاقة الكهربائية ــ الفحم ــ المنجنيز ــ الحديد ... وبهذا تكونت فى روسيا مايسمى بالصناعات « المتجمعة » أو » الكومبينا « وهى تفوق فى ضخامتها أكبر الصناعات الحرة فى العالم الغربى ــ وتملك روسيا أجهزة بوليسية ضخمة كان لها أثرها من غير شك فى نجاح النظام الاقتصادى : فالشعب الروسى منطو منذ أحقاب طويلة على السلبية والخضوع ، لم يمارس أبدا تجربة الحرية الحقة ، وهو لهذا لم يقبل بسهولة هذا النمط من الحياة الاقتصادية والسياسية ولكن ، على الرغم من الأخطاء الكثيرة التى ارتكبت ، نجحت حركة التنمية هناك نجاحا كبيرا ، وانتقلت نفس أساليب التنمية الروسية الى أوروبا الشرقية أولا ، ثم الى جزء كبير من آسيا ... ومازالت التجربة قائمة فى عدد دول متخلفة .. لهذا ، فان تفاعل الغرب عن هذا لا يفيده

شيئا ، لأن شعوب الدول المتخلفة جميعا تنظر مدققة فيما يجرى على مسرح العالم الشرقى ••• ان الشيوعية بأهدافها تنتظر الفرص السانحة لبسط رقعة نفوذها وسيطرتها •

لقد نجحت روسيا حتى الآن فى ضم أكثر من مليار نسمةمن سكان العالم ، منهم ٦٠٠ مليون صينى وقبل أن تستطيع روسيا ــ من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ــ أن تغطى احتياجات هذه الامبراطورية الضخمة بالعدد والآلات اللازمة لتحقيق برامجها الانمائية ، يجب عليها هى نفسها أن تنمى صناعاتها حتى تبلغ مستوى أعلى مما هى عليه الآن .

أما بالنسبة للفنيين ، فلا مناص لها من الانتظار لان روسيا غير مستعدة الآن لتحمل أعباء السيطرة الكاملة على العالم ••• وعليها أن تتقدم خطوة فخطوة ، متحاشية ــ قدر الامكان ــ اشعال حروب تكون هى فيها طرفا مباشرا •• فالوقت فى صالحها ، وستأتى اللحظة التى يمكنها فيها أن تضم مساحات أخرى من العالم • ان السلام يعمل فى صالح الشيوعية مادام الغرب ــ وبخاصة ــ الرأسمالية الغربية ، يرفض المعنى الصحيح الذى ينطوى عليه غضب شعوب الدول المتخلفة .

ان الاستراتيجية الروسية تهدف الى ترك الزمن يعمل لصالحها وذلك بتكوين دول على حافة امبراطوريتها «تستعد» لتقبل مبادئها كاليابان وفيتنام الجنوبية وبورما وسيلان

وأندونيسيا ... والصعوبة ستكون فى « ضم » الهند حينما تحين الساعة .

ولكن نجاح وسائل التنمية فى بلدان يزيد تعدادها عن مليار نسمة يستلزم مستوى من التقدم الاقتصادى لم تبلغه بعد روسيا . ولقد سئل منذ خمس سنوات أحد كبار المسئولين عن الاقتصاد الروسى : « اذا ترك لكم الغرب جميع الدول المتخلفة ، فهل تظنون فى أنفسكم القدرة على بعث التنمية فى العالم أجمع ؟ » ... وجاء جوابه بالنفى ... !

ان روسيا تؤمن بأن بلوغ الهدف لن يتم الا على خطوات .

ان الدول الاسلامية يمكن أن تبدى بعض المقاومة فى وجه الشيوعية ولقد ظنت بريطانيا أنها تستطيع تقوية هذه المقاومة باقامة حلف بغداد .. ولكن حرب السويس قوضت دعائم هذا الحلف ، كما تحاول أمريكا الآن أن تحل محل بريطانيا بقروضها وهباتها .

وترد روسيا على مشروع كولمبو وعلى المساعدات الأمريكية باتباع نفس السياسة فى هذه المنطقة من العالم .

واذا ألقينا نظرة على القارة الأوربية العتيقة نجد أن ايطاليا قد بدت فى احدى اللحظات قريبة من « النضج » أما

فرنسا ، فالتيارات اليســارية تعمل فيها دون هوادة ... كل ذلك يخلق حاجزا فى الجنوب الغربى .

ونحن لن نتكلم عن الدول الاسكندنافية التى ستعجز عن الدفاع عن نفسها فى حالة أى اعتداء من الخارج .

وهــذه الدول نجحت فى تجاوز المرحلة الاشتراكية التى بلغتها الشيوعية ، واستطاعت أن تقضى تقريبــا على التوتر الطبقى .

وهناك « رءوس جســور» فى طريقها الى التكوين ، وخاصة فى افريقيا ، حول المناجم فى الجنوب والشرق ، وفى أميركا اللاتينية فى الدول الصناعية مثل البرازيل وشــيلى وكولومبيا والمكسيك .. هذا ، ومن المعروف أنه يوجد فى كندا قوة شيوعية عاملة ..

ان روسيا تنتظر « نضوج » مجهوداتها ، وعلى هــذا الأساس يجب أن نفهم دعاياتها فى سبيل السلام .

الماركسية كفلسفة انسانية

ان الجانب الايجابى للايديولوجية الماركسية هو تشجيعها للتقدم الاقتصــادى ، ولكن هذه الايديولوجية تنطــوى على فلسفة انسانية تقود البشر الى طريق مسدود .

لقد أثبت ماركس أن النضال الطبقى هو نتيجة حتمــية

للنظام الرأســـــمالى ، وأن الواجب التاريخى الملقى على عاتق العصر الحديث هو تحرير طبقة البروليتاريا اجتماعيا .. ولكنه غلف اكتشافه هذا بروح الحرب الاجتماعية وفلســـفة خاطئة لجوهر الانسان وجوهر العمل قضـــت على جمـــيع النزعات الفردية للكائن البشرى .

يؤكد ماركس مبدأ المادية المطلقة .. فلا توجد هناك أية فكرة سابقة عن المادة .. والطبيعة .. والفكرة لا تظهر الا من الطاقة المفكرة للانسان أثناء تطوره .. ان المفهوم التطـــورى للعالم ــ كمــا يقول ماركس ــ لايترك مكانا لخـالق أو لمنظم والانسان ليس الا عاملا وقتيا للطبيعة .. انه لا يمثل فى حركة التطور غير نقطة أو « لحظة » .

ويقول « انجلز » انه لا يوجد شىء اذا استثنينا الطبيعة والانسان ، أما المخلوقات العليا التى خلقتها تخيـلاتنا الدينية فليست فى الحقيقة غير الظل المجسم لحقيقتنا نحن ..

وهكذا ، فالدين خضوع « لتسبيح » الهى ، وهو يتمم سلسلة الخضوع الماركسية المعروفة : خضوع العامل للرأسمالى الذى يسلبه ثمار مجهوداته المنتجة .. ، وخضوع العامل للدولة الممثلة للرأسمالية والتى تسلبه حريته ..

ان الرجل ليس الا نتاج البيئة الطبيعية ، وان الدين يقضى

على جوهر الانسان وجوهر الطبيعة وينقل هذا الجوهر الى شبح الهى يعيش فى « الآخرة » .

ونصل مع لينين الى المرحلة العملية من مراحل الثورة : ان الثورة هى السيطرة بعينها .. ووجود معارضة تتنافى تماما مع وحدة الحزب .. وهذا الأخير يجب أن يخضع لنظام صارم وان ديكتاتورية البروليتاريا التى تتمخض عنها الثورة لتقضى على رواسب النظام البرجوازى هى عبارة عن نضال دائم دموى أو غير دموى .. نضال اقتصادى وحربى . فكرى وادارى .. نضال ضد العادات والتقاليد .. ضد جميع قوى المجتمع القديم .

ليس للرحمة اذن مكان .. وليس هناك حق غير ذلك الذى يدفع بالثورة الى الأمام ، فكل معارضة تعتبر جريمة ، وكل معارض يجب أن يقضى عليه ..

والدين ، وهو قوى الماضى الرجعية المحافظة ، يجب أن يوضع ضمن المفاهيم العتيقة التى ليست لها أى نفع .. بل يجب القضاء عليه بحركة دعائية واسعة ... ويجب أن تحل ديانة جديدة محل الديانة القديمة .. ديانة الانسانية المتطورة .. ، فالمادية التاريخية تؤدى حتما الى « الايمان » بالبروليتاريا وحدها .. ولا تقبل عنها الها بديلا ..

وهكذا ، نرى أن البربرية تقبع على أبوابنا ... مهما

تحلت هذه البربرية بالطابع العلمى .. ومهما نجحت فى استغلال موارد الثروة .. فالانسان الذى تبتلعه هـذه الآلة الانتاجية الضخمة لايمكن أن يصبح بعد ذلك انسانا .. وبعد أن نجنى ظاهريا ـ الكثير من الربح .. سنجد أنفسنا أمام القضاء .. !

الماركسية والمدنية الجديدة

ان أميركا وروسيا بتجاهلهما « الانسان » قضيا معا على أسس نجاحهما فى المستقبل ، لان أنمطة المدنية التى يقـدمانها للعالم قاصرة ولا تصلح « للتصدير » .

وفى الوقت الذى يدب فيه الفساد فى الولايات المتحـدة والعـالم الأوروبى ، تزداد المتناقضـات الداخلية فى النظام السوفيتى بهيكله الذى يهدف للسيادة العالمية .

ان موسكو تخشى الصـين .. وقد بدأت تظهر فيـها الطبقات الا جتماعية من جديد وينصرف الطلبة عن دراسـة المبادىء الماركسية .. ويرغب الشـعب فى رفع مسـتوياته الاستهلاكية .. كما بدأت تظهر العاطفة الدينية من جديد .

وقد انفصلت يوغوسلافيا عن المعسكر الشرقى ..

وثارت المجر ..

وحصلت بولندا على بعض الحريات ..

أما الأحزاب الشيوعية ـ خارج « الامبراطورية » ـ فقد

بدأ موقفها يضعف بسبب الأموامر أو الشعارات المتناقضة التى تأتيها من موسكو ..

ان التطاحن العسكرى بين المعسكرين لن يجدى فتيلامهما كان المنتصر .

فأسباب التوتر الدولى ، حتى بعد انتهاء الحرب ، ستبقى كما هى وسوف تصبح الطبقات الفقيرة فى الدول الغنية أشد فقرا ..

أما الشعوب الفقيرة فتحبس عنها المساعدات .

وحتى اذا افترضنا انهيار الحكومات الشيوعية ، فان ايديولوجية ثورة الطبقات وثورة الشعوب لن يمسها شىء .

على الغرب والشرق اذن أن يقيما دعائم اقتصاد يخدم الانسان .

انه الطريق الوحيد الذى يمكن للانسانية أن تتقدم فيه للأمام .

— ١٩ —

« شعوب باندونج »

تمخضت اجتماعات باندونج عن ظهور قوة ثالثة .. يمتد ميدانها من شمال اليابان حتى افريقيا السوداء .. وهذه القوة توجد جزئيا فى العالم السوفيتى ، وجزئيا على حدوده ، وفى الجنوب الافريقى لاوروبا .

لم تكن باندونج فى ظاهرها غير اجتماع للساخطين لغرض

البحث عن هدف بناء ، بعزيمة تطلب التحرر والاستقلال ويمكن أن تتحول الى عزيمة للثورة ونقطة ابتداء لتغيرات جذرية .. وأمام دهشة الساسة الاوربيين نجد غيرهم من المراقبين المطلعين على بواطن الأمور يسجلون أحداث باندونج فى هدوء كأنهم كانوا على ثقة من حدوثها .

« كتب تيبورماند » يقول فى كتابه « ثورة آسيا » ان أغلبية سكان آسيا لم يجدوا صعوبة فى اقناع أنفسهم بأن وجود « الأسياد » الأجانب فى بلادهم يعد سببا من أسباب تأخرهم .. وحتى هؤلاء الذين يعانون وطأة الجهل وعدم المعرفة أصبحوا يدركون أن وجود الأوروبيين فى آسيا مرهون بمصالحهم الاقتصادية .. !

ان هذا الكتاب الصغير يوضح روح باندونج وثورتها وما لاقاه « شوان لاى » ممثل الصين من نجاح .

ولايجب أن ننسى كذلك ماقاله البانديت نهرو فى يناير ١٩٥٠ « اذا كانت الشيوعية شرا فالاستعمار شر أكبر » .

ان قوة باندونج ستظهر حتما فى الاجتماعات الدولية ، وفى قرارات هيئة الأمم المتحدة .. ، فمن حيث عدد الأصوات أصبحت « قوة باندونج » قوة الغالبية .. وسوف يزداد شأنها بازدياد سخط شعوب أميركا اللاتينية . لقد أدرك الغرب وهيئة

الأمم المتعددة فى أكثر من مناسبة أن عهدا من عهود العالم ـ ألا وهو عهد الاستعمار ـ قد ولى من غير رجعة ..

ولقد كانت حرب السويس أكثر من رمز : فنحن جميعا نذكر الخسائر التى سببتها لاقتصاديات العالم الغربى ، كما أن تكلفة اعادة الملاحة بها زادت على ١١ مليون دولار .

ان المدنية الجديدة لا يمكن أن تكون مدنية الثروة أو العنف أو الخوف من الموت ـ ولذلك يجب أن يفهم الغرب أن هؤلاء الذين يقفون ضـــده اليوم ليسوا « برابرة » بل شـعوب يعتنقون مجموعة من القيم والمفـاهيم التى تغاير قيم الغرب ومفاهيمه .. وأن على الغرب أن يتعلم منهم عدم المبالغة فى تحقيق الرغبات .. ! ان حكمة غاندى يجب ألا تبقى كنزا للهند وحدها ، فلا توجد مدنية لم تنهل من ذلك النبع الصافى .

يجب أن يسير الاخلاص يدا بيد مع الحكمة ـ فلا يفرق أحد بين مجتمع ومجتمع .. ولا ينظر أحد لغيره الا على أنه مساوله .. اننا نضع العامل البســيط والرأسمالى الغنى فى الكفة نفسها .. ، ان حياة التضـــحية هى قمة الفن وهى فى الوقت نفسه مليئة بالأفراح .. ان من يريد أن يخدم المجموع عليه أن ينكر ذاته ويطلب من الخالق أن يعوضـــه عن تعبه ومجهوده .. وهو لن يستولى على كل ما يمكن أن توصـله اليه ثروته بل على الضرورى ، تاركا الباقى للآخرين .. سيكون

هادئا متحررا من الغضب يعيش فى سلام مع نفسه ومع الآخرين .. وسيكون جزاؤه هو خدمته وفضيلته وسيجد فى ذلك ما يرضيه .

ان خدمة الآخرين تحتم على كل منا أن يعطى خير ما عنده .. ان خير القادة هو من يهب نفسه لخدمة الانسانية جمعاء .

يجب أن يتأمل قادة الاقتصاد والسياسة فى المعسكرين الشرقى والغربى هذه الكلمات ، كما يجب أن تضىء طريق قادة الشعوب التى حصلت حديثا على استقلالها .

لقد وجدت الهند فى شخص « فينوبا » من يكمل رسالة غاندى فقد استطاع أن يقنع كبار الملاك الزراعيين فى القرى التى يمر بها بتوزيع أراضيهم على المعدمين .. وهو يعتقد أن حياة العمال يجب أن تصبح حياة سعيدة حتى يحسدهم الآخرون ..

ان اهمال مثل هذا التراث الآسيوى لبلد من أكبر بلدان العالم وأكثرها فقرا من جانب العالم الغربى الذى تخنقه كبرياؤه يعد بمثابة اثم يرتكب ضد الانسانية .

— ٢٠ —

كلمة الختام

لقد وصلنا الآن الى نقطة النهاية فى تحليلنا ولا يسعنا الا أن نشعر بالخوف .. !

ليس هناك من شك أن داء الانسانية الذى يبدو لأول وهلة الى العيان هو الفقر : فثلاثة أرباع العالم يعانون من الجوع ويتعرضون لجميع الأوبئة الاجتماعية نتيجة لهذا الفقر .

ان جزءا كبيرا من سكان المدن يقطنون ، بل يتكدسون ، فى منازل غير صحية .. ولكن المدن الكبرى يزداد حجمها يوما بعد يوم لأنها تجذب اليها سكان القرى الذين لا يجدون عملا يقيمون به أودهم فى القطاع الزراعى ، ان الضغط السكانى على الأراضى الزراعية أو سوء توزيع هذه الأرض لم يترك غير ملكية متناهية فى الصغر لاتقوى على انتاج الحد الادنى اللازم لاعالة أصحابها .. أما الملكية الكبيرة فقد عمد أصحابها الى استخدام الآلات الزراعية الحديثة ، وبذلك أستغنوا عن الأيدى العاملة .. أو حولوها الى مراع جريا وراء الكسب الوفير ..

وفرض على المرء الرحيل لكى يعيش حتى ولو وافته المنية فى الطريق .. أما اذا بلغ هدفه ، فعليه أن ينتظر طويلا وهو خالى الوفاض ويقنع بعد ذلك بعمل مهدد بفقده والعودة الى البطالة والانتظار الطويل وهو خالى الوفاض .. حلقة مفرغة يعيشها العامل الريفى غير المدرب على الحياة فى المدينة الصناعية الناشئة .

انني لا أتكلم هنا كقاض أو روائى ، بل كشاهد عيان للحقيقة الاجتماعية التى يعيشها الملايين فى أمريكا اللاتينية ،

وافريقيا ، وآسيا .. ان هؤلاء الذين لم يدرسوا غير الاحصائيات والأرقام فى مقدورهم ألا يتأثروا بما تظهره لهم الأرقام من فروق بين مستوى معيشة مختلف الشعوب ويقبلون ببرود تام على صبغ النظريات الخاصة بالتنمية والاستثمار والتقدم الاقتصادى .. ان الاحساس الصادق بحقيقة الأوضاع لا ينبع من الاحصائيات والارقام بل من مشاهدة العالم المتخلف عن كسب ودراسته على الطبيعة .

ان أكبر أدواء العالم ليس الفقر .. بل عدم مبالاة من يملكون ..

وقد وصلنا الآن الى مرحلة بدأ فيها ضمير من لا يملكون يتحرك ويستيقظ .. لقد انتهت مرحلة سلبية الجماهير أوكادت .. فالصحف والاذاعة ، وتباعى الطبقات الحاكمة ، جعلت من لا يملكون شيئ أو من لا يملكون غير القليل يعرفون أن هناك طائفة من بنى جلدتهم يملكون الكثير .. وهكذا أصبح الخضوع والصمت أمرا مستحيلا .. ! وبدأ رد الفعل يظهر فى كل مكان بعد أن كانت السلبية هى السائدة فى كل مكان .. وأمام ثراء الغرب ،ورغبته الجامحة فى زيادة هذا الثراء ، بدأ رد الفعل يتجه ضد الغربيين .. ان العالم تجتاحه اليوم حمى التحرر الوطنى فجميع الشعوب تريد أن تتحرر من أى لون من ألوان السيادة .. وقد بدأت هذه الثورة التحررية حيث كان يجب أن تبدأ فى الدول التى تعيش تحت نير الاستعمار ، ومنها

امتدت الى الدول المستقلة التى تشعر بســـيادتها مهددة عن طريق الضغط الاقتصادى والمساعدات ـ المشروطة •• وانصب غضب الجميع على العالم الغربى المتقدم ، وبدأت وحدة العالم المتخلف تقوى فى وجهه ••• وأصبحت الصين بعد تخلصها من سيادته « المثل » للدولة التى تسير نحو الرفاهية •

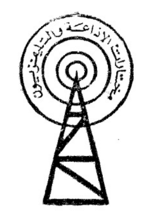
ومن المؤسف أن الغرب لا يريد أن يفهم •• أنه أســير قيمه ومفاهيمه القديمة البالية فهو لا يزال يؤمن بالاستعمار •• ويخلص لمذهب اقتصـادى أثبت عجزه عن اشباع حاجيـات وآمال الشعوب الفقيرة •• ان الغرب لا يزال مشغولا بزيادة ثرائه ، ولذلك فهو غير قادر على تفهم حقيقة الأوضاع الدولية •• فهو لا يفكر فى غير « الدفاع » عن كيانه فى الوقت الذى يجب أن يفكر فيه فى « التنمية » العالمية •• وأصبح دفاعهضد الشيوعية هو الشىء الوحيد الذى يؤرق باله لأنه لم يفهم بعد أن الشيوعية لن تهزم بالسلاح •• ان هزيمتـها لن تجىء الا « بتحويل » القوة الاقتصـادية والثقافية الغربية الى خدمة الانسانية جمعاء •• انه مشغول بعقد الأحلاف العسكريةوتأمين المواقــع الاستراتيجية فى الوقت الذى يجب أن يفكر فيه فى المساعدة الأخوية البحتة ••• انه لا يقدم المســاعدة الا عن خوف أو مصـلحة ••لا عن حق وحب •• ثم يدهش بعـد ذلك لأنه لا يحصد غير التوجس والحقد والثورة ••

ان المشكلة الكبرى هى فى قلب القيم والمفاهيم القـديمة ووضع دستور جديد لغرس ثمرة التنمية الصحيحة على مستوى عالمى •• وخلق نوع جديد من العلاقات بين الشعوب حتى فى البلدان الشيوعية •

لقد اقتربت الساعة التى لن تفقد فيها البلدان الغنـية « القليل » أو بعض الشىء •• بل « كل شىء » •• ان فقدان بعض الشىء اليوم يعنى وضـع الامكانيات المتاحة فى خدمة الانسانية ••

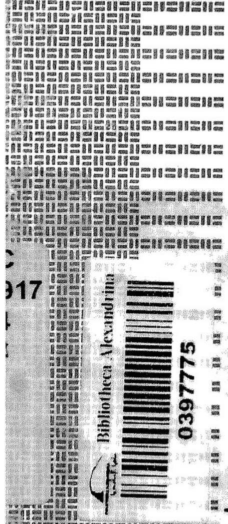
والابقاء بالقيم الانسانية بتلبية نداء الانسان المعدم ••• أما فقدان « كل شىء » فيعنى خلق ثورة الحقد فى نفوس الشعوب التى لا تملك شيئا ، والتى ترتمى يأسا فى أحضـان الديكتاتورية التى تقود الى أشد المنازعات •

ان بقاء الغرب يتوقف على مقدرته فى خلق عاطفة الحب فى قلوب الشعوب ، وذلك ليس فقط بعد أن يتعلم هو كيف يجب أن يحب •• بل حينما يثبت للعالم أنه قادر ماديا وفنيا على مساعدة الانسانية فى حل مشاكلها والسير بها قدما الى الأمام •





١٥٧ ـ شارع عبيد ـ روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥



العدد ٢٧٢ الثمن ٤ قروش